عنوان المقياس: التفسير اللغوي للقرآن الكريم عند طالب سنة ثالثة ليسانس

إعداد الأستاذة: د. بسمة بله باسي

١- محتوى المقياس

٠١ - تعريف التفسير اللغوي

٠٢ - مكانة التفسير اللغوي

٠٣ - نشأة التفسير اللغوي عند السلف

٠٤ - نشأة التفسير اللغوي عند اللغويين

٠٥ - طريقة التفسير اللغوي في كتبهم

٠٦ - أسلوب التفسير اللفظي عند اللغويين

٠٧ - مسائل في نشأة التفسير اللغوي

٠٨ - مصادر التفسير اللغوي في كتب التفسير

٠٩ - مصادر التفسير اللغوي في كتب معاني القرآن

١٠- مصادر التفسير اللغوي في كتب غريب القرآن

١١- مصادر التفسير اللغوي في كتب معاجم اللغة

١٢- مصادر التفسير اللغوي في كتب أخرى لها علاقة بالتفسير اللغوي

١٣- أثر التفسير اللغوي في اختلاف المفسرين

١٤- أثر التفسير اللغوي في انحراف المفسرين

١٥- قواعد في التفسير اللغوي

٢- أهم مصادره المعتمدة

٠١- التفسير اللغوي للقرآن الكريم، مساعد بن سليمان الطيّار

٠٢- تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح عبد الفتاح الخالدي

٠٣ - اتجاهات التفسير في القرآن في مصر، محمد الشريف

٠٤ – منهج الدراسة العقلية الحديثة في التفسير، فهد الرومي

٠٥– اتجاهات التفسير في العصر الحديث، عبد المجيد عبد السلام المحتسب

٠٦– التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي

٣– المادة العلمية المتضمنة فيه بإيجاز تماشيا مع متطلبات هذه المرحلة الاستثنائية

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان عربيّ مبين، والصّلاة والسّلام على أفصح العرب محمد بن عبد الله وعلى آله وصحابته أجمعين، أمّا بعد:

لقد خصَّ الله تعالى أمّة الإسلام بأعظم كتاب، فكان القرآن الكريم منهاجها، ونورها، وموّجهها الأوّل، لا تنفكُّ ترجع إليه وتحتكم إلى شرائعه وبيانه، فكما كان معينا لا ينضب للفقهاء والحُكماء، فهو مرجع اللُّغويين والبلاغيين والنحاة والأدباء، فلا سبيل إلى بلوغ فهم القرآن الكريم إلّا بما يتاح من معرفة بلغته، وإحاطة بنظامها، وقوانينها، وسننها الإبلاغية، وخصائصها البيانية، ولا سبيل إلى ذلك كله إلا بالمعرفة بلغة القرآن وفهم دقائقها وخباياها.

ولقد عكف علماء اللغة على مدار التاريخ يدرسون لغة القرآن الكريم من نواح شتّى، النحوية منها والصرفية والدلالية والصوتية وغيرها، فتوزّعت جهودهم على حقول متعددة منها: البحث في معاني ألفاظه ومفرداته، والبحث في أساليبه وبلاغته، والبحث في وجوهه الإعرابية مفردات وجملا.

هذا وتعد اللغة العربية أمَّ الأصول في فهم القرآن الكريم، فبها نزلَ الكتابُ وبها يُبَيَّنُ للناس، وفي ذلك قال الإمَامُ الشاطبيُّ : " إِنَّ هَذِهِ الشَّرِيعَةَ الْمُبَارَكَةَ عَرَبِيَّةٌ، لَا مَدْخَلَ فِيهَا لِلْأَلْسُنِ الْعَجَمِيَّةِ ... وَإِنَّمَا الْبَحْثُ الْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلِسَانِ الْعَرَبِ عَلَى الْجُمْلَةِ، فَطَلَبُ فَهْمِهِ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ خَاصَّةً، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون}[يوسف: ٢]، وَقَالَ: {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِين} [الشعراء: ١٩٥] ، وَقَالَ: { لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِين} [النحل: ١٠٣]، وَقَالَ: { وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى} [فصلت: ٤٤]، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ عَرَبِيٌّ وَبِلِسَانِ الْعَرَبِ ... فَمَنْ أَرَادَ تَفَهُّمَهُ، فَمِنْ جِهَةِ لِسَانِ الْعَرَبِ يُفْهَمُ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى تَطَلُّبِ فَهْمِهِ مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الْجِهَةِ " ، ولا يفوتنا هنا أن نشيْر إلى أنّ التفسير اللغوي، طويل جدًّا، لا تحويه مثل هذه المحاضرات الموجزة، لتعدد جوانبه،

١–

وكثرة تشعباته، ووفرة معلوماته ومصادره، والتي تدخل بمجملها تحت مسمى التفسير اللغوي، وسنعرج هنا إلى أهم ما يحسن الوقوف عنده في هذا المقياس بالاعتماد أساسا على كتاب التفسير اللغوي لمساعد الطيّار بالإضافة إلى جملة من المصادر والمراجع الأخرى.

محاضرة ١ : تعريف التفسير اللغوي:

١. تعريفُ التَّفسير اللُّغويِّ:

قبلَ التطرق للمعنى التركيبي لمصطلحِ التَّفسيرِ اللُّغويِّ، لا بدّ من الوقوف ابتداء على المعنى الإفرادي لمفردتي التفسير واللغة قبلَ الإضافةِ؛ لنوضّح بذلك المرادَ بمصطلحِ التَّفسير اللُّغويِّ.

أولاً: تعريف التفسير:

أ- التفسير لغةً:

اتفق أهل اللغة على أنَّ التفسير بمعنى الكشف والإيضاح وإن تباينت عباراتهم وتنوعت فعرّفه:

ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) في مقاييس اللغة بقوله: " الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه " ، فالتفسير بمعنى الإيضاح والبيان.

والأزهري في تهذيب اللغة بأنّه: "كشف المراد عن اللفظ المشكل " ، أي إنّه إزالة الإشكال[٢] عن اللفظ المُشكل.

وابن منظور في لسان العرب يقول: " الفسر كشف المغطّى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل " ، فالتفسير هو الكشف عن المُستتر أو المُشكل.

١ -
٢ -
٣ -

الفيروزآبادى (ت٨١٧هـ) في القاموس المحيط يقول أيضا: " الفَسْرُ الإِبانَةُ، وكشْفُ المُغَطَّى، كالتَّفْسيرِ " ، وهو من الإبانة والكشف، وعليه يمكننا القول: إنَّ التفسير في اللغة هو الإيضاح والتبيين والتفصيل وهو مأخوذ من الفسر وهو الإبانة والكشف.

ب- التفسير في الاصطلاح:

تعددت تعريفات العلماء للتفسير، واختلفت صيغها ومدلولاتها ومحتوياتها فعرَّفه:

ابن جزي (ت ٧٤١ هـ) بقوله: " معنى التفسير شرح القرآن وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصّه أو إشارته أو فحواه " ، فالتفسير هو شرح القرآن وتوضيح ما يحتويه بنصّه وإشارته.

وأبو حيان الأندلسي عرّفه بقوله: "التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب .... " ، فهو علم يُبحث فيه عن أحكام القرآن وألفاظه ومعاني مدلولاته.

والزركشي عرّفه بقوله: " التفسير علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه " ، فهو فهم كلام الله المنزَّل على نبيّه.

ومحمد حسين الذهبي (ت١٣٩٨هـ) أيضا يعرّفه بقوله: " إنّ التفسير ليس من العلوم التي يُتكلف لها حد، لأنّه ليس قواعد أو ملكات ناشئة من مزاولة القواعد كغيره من العلوم التي أمكن لها أن تشبه العلوم العقلية، ويُكتفى في إيضاح التفسير بأنّه بيان كلام الله، أو أنّه المبيِّن لألفاظ القرآن ومفهوماتها " ، وهو العلم المبيّن لكلام الله وألفاظه ومفاهيمه.

-١

-٢

-٣

-٤

-٥

والزّرقاني (ت ١١٢٢هـ) يقول: " هو علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله بقدر الطاقة البشريّة " ، فهو علم يُبحث فيه عن دلالات ومراد الله في كلامه، ومن جملة ما سبق يُمكننا القول إنّ التفسير علم يُبحث فيه عن معاني مفردات القرآن وتراكيبه من حيث النطق بها وفهمها والاستشهاد بها.

ثانياً: تعريف اللغة:

أ- اللُّغةُ في اللُغةً:

اللغة في اللغة من اللغي واللهج فعرّفها ابن فارس بقوله: " لغي بالأمر، إذا لَهِج به، ويقال إنَّ اشتقاق اللغة منه، أي يلهج صاحبها بها " ، وهي بذلك مأخوذة مِن اللَّهجِ بالشَّيءِ.

يقول السيوطي: " اللغةُ من لَغِي يَلْغَى من باب رَضِي إذا لهِج بالكلام وقيل من لَغَى يَلْغَى " ، وعليه اللغة هي اللَّسنُ والنُطق، وجمعُها لُغىّ، ولغاتٌ وبهذُا يقالُ لغتُهُم التي يَلغونَ بها. [٣]

ب- اللغة في الاصطلاح:

كما عرّفها ابن جنّي (٣٩٢هـ) في الخصائص: قال "أَصْوَاتٌ يُعَبِّرُ بِها كلُّ قومٍ عن أَغْراضِهم" ، وعليه فإنّ اللغة أصوات تعبيرية تؤدي معاني محددة. [٤]

وعرّفها ابن حزم (٤٥٦هـ) فقال: اللغة ألفاظ يعبر بها عن المسميات وعن المعاني المراد إفهامها، ولكل أمّة لغتهم قال الله عز وجل {ومآ أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل لله من يشآء ويهدي من يشآء وهو لعزيز لحكيم} [ابراهيم: ٠٤] . [٥]

ثالثا: تعريف التفسير اللغوي:

وبعد جملة ما ذكرناه في تعريف مفردتي التفسير واللغة نقول:

التفسير اللغوي: هو بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب.

---

١ -

٢ -

٣ -

٤ -

٥ -

أمَّا الشِقُّ الأولُ مِنَ التعريفِ، وهو بيان معاني القرآن: فإنه عامٌّ يشملُ كُلَّ مصادرِ البيانِ في التَّفسيرِ؛ كالقرآنِ، والسُّنَّةِ، وأسباب النزول، وغيرها.

وأمَّا الشِّقُّ الثاني منه، وهو بما ورد في لغة العرب: فإنه قَيدٌ واصفٌ لنوعِ البيانِ الذي وَقَعَ لتفسيرِ القرآنِ، وهو ما كان طريقُ بيانِه عن لغةِ العربِ.

وبهذا النَّوعِ من البيانِ يخرجُ ما عداه من أنواعِ البيان؛ كالبيانِ الكائنِ بأسبابِ النُّزولِ وقصصِ الآيِ، أو غيرِها مما ليس طريقُ معرفتِه اللُّغةُ، كما يخرج بهذا القيدِ ما كان طريقُ بيانِه بغيرِ لغةِ العربِ، كمن يُفسِّرُ بمدلولاتٍ لا تُعرفُ عند العربِ؛ كالمصطلحاتِ الحادثةِ ، والمرادُ بما وردَ في لغةِ العربِ: ألفاظُها وأساليبُها التي نزلَ بها القرآنُ .[٢]

فَإِنْ قُلْنَا: إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلِسَانِ الْعَرَبِ وَإِنَّهُ عَرَبِيٌّ وَإِنَّهُ لَا عُجْمَةَ فِيهِ، فَبِمَعْنَى أَنَّهُ أُنْزِلَ عَلَى لسان معهود العرب فِي أَلْفَاظِهَا الْخَاصَّةِ وَأَسَالِيبِ مَعَانِيهَا، وَأَنَّهَا فِيمَا فُطِرَتْ عَلَيْهِ مِنْ لِسَانِهَا تُخَاطِبُ بِالْعَامِّ يُرَادُ بِهِ ظَاهِرُهُ، وَبِالْعَامِّ يُرَادُ بِهِ الْعَامُّ فِي وَجْهٍ وَالْخَاصُّ فِي وَجْهٍ، وَبِالْعَامِّ يُرَادُ بِهِ الْخَاصُّ، وَالظَّاهِرُ يُرَادُ بِهِ غَيْرُ الظَّاهِرِ، وَكُلُّ ذَلِكَ يُعْرَفُ مِنْ أَوَّلِ الْكَلَامِ أَوْ وَسَطِهِ أَوْ آخِرِهِ .[٣]

محاضرة ٢ : مكانة التفسير اللغوي:

تمهيد:

اختارَ اللهُ سبحانه نبيَّه الخاتم محمد بن عبد الله صلّى الله عليه وسلّم عربيًّا، وكان من السَّننِ أن يكون كتابُه بلسانِ قومِه، جَرْياً على سنَّة الله في إرسالِ الرُّسلِ عليهم السلام؛ كما قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [إبراهيم: ٤]، وقد جاءَ النَّصُّ على عربيةِ القرآنِ في غيرِ ما آيةٍ، منها:

١- قولُه تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [يوسف: ٢].

---

١ -

٢ -

٣ -

٢- وقولُه تعالى: {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا} [طه: ١١٣].

٣- وقولُه تعالى: {قُرْآناً عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [الزمر: ٢٨].

٤- وقوله تعالى: {وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَاناً عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ} [الأحقاف: ١٢].

٥- وقوله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الزخرف: ٣]، وغيرُ هذه الآياتِ التي نَصَّتْ على عربيَّةِ القرآنِ.

ولما كانَ الأمرُ كذلكَ، فإنّه لا يمكنُ العدولُ عن هذه اللُّغةِ التي نزلَ بها القرآنُ إلى غيرِها إذا أُرِيدَ تفسيرُ الكتابِ الذي نزلَ بها؛ لأنَّ معرفةَ معاني ألفاظِه لا تؤخذُ إلاَّ منها، قال ابن فارس (ت:٣٩٥): " إنَّ العلمَ بلغةِ العربِ واجبٌ على كُلِّ متعلقٍ منَ العلمِ بالقرآنِ والسُّنَّةِ والفُتْيَا بسببٍ، حتى لا غَنَاءَ بأحدٍ منهم عنه، وذلك أنَّ القرآنَ نازلٌ بلغةِ العربِ، ورسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم عربيٌ، فَمَنْ أرادَ معرفةَ ما في كتابِ اللهِ جلَّ وعزَّ، وما في سُنَّةِ رسولِ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم من كلِّ كلمةٍ غريبةٍ أو نَظْمٍ عجيبٍ، لم يجدْ مِن العلمِ باللغةِ بُدًّا " [٢].

وقالَ الشَّاطبيُّ (ت:٧٩٠): " لا بُدَّ في فَهْمِ الشَّريعةِ من اتباعِ معهودِ الأمِّيِّينَ، وهم العربُ الذين نزلَ القرآنُ بلسانِهم، فإنْ كانَ للعربِ في لسانِهم عُرْفٌ مُستمِرٌّ فلا يَصِحُّ العدولُ عنه في فَهْمِ الشَّريعةِ، وإنْ لم يكنْ ثَمَّ عُرْفٌ، فلا يَصِحُّ أنْ يُجْرَى في فَهْمِهَا على ما لا تعرفُه، وهذا جَارٍ في المعاني والألفاظِ والأساليبِ " [٣].

ويُعدُّ جيل الصحابة رضوان الله عليهم أوّل من استدلّ باللغة العربية في التفسير، والروايات في ذلك كثيرة نذكر منها:

ما روي أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه التبس عليه معنى الحرج في قوله تعالى: {يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ} [الأنعام: ١٢٥]، فقال: " قال : ائتوني برجل من كنانة جعلوه راعيا فأتوا به فقال له عمر: يا

---

١ -

٢ -

٣ -

فتى ما الحرجة فيكم، قال : الحرجة فينا الشجرة تحدق بها الأشجار فلا يصل إليها راعية ولا وحشية، فقال عمر : وكذلك قلب الكافر لا يصل إليه شيء من الخير" .[١]

ومن بين اعتبارات تقدم الصحابة في التفسير معرفتهم باللغة العربية، فهم أهلها العارفون بها سليقة، وعدم سؤالهم رسول الله ﷺ عن آيات عديدة إنّما كان بسبب علمهم بمدلولها من خلال علمهم باللغة.

وما حاز ابن عباس رضي الله عنه السبق في التفسير إلا بمعرفته الكبيرة باللغة العربية، وهو الذي كان يقدم الشاهد الشعري للمعنى الذي تفيده الآية، ويدل لذلك بمسائل ابن الأزرق " وهي مسائل عن معاني ألفاظ غريب القرآن سأل نافع بن الأزرق عنها ابن عباس وطالبه أن يأتي بشواهد على ما يفسره من معاني الألفاظ من شعر العرب، وصورة المسألة أن يقول نافع: " أخبرني عن قوله تعالى كذا "، فيذكر اللفظ المسؤول عنه، فيقول ابن عباس: كذا، فيقول نافع: " وهل كانت العرب تعرف ذلك ؟ " فيقول ابن عباس : " نعم، أما سمعت قول الشاعر ..." ويذكر الشاهد، أو نحو هذا .[٢]

وسار التابعون على هدي الصحابة فأكّدوا على أهميّة العلم باللغة لطالب التفسير، قال مجاهد : " لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب" .[٣]

وحرص العلماء بعدهم على بيان أهمية اللغة في تفسير كتاب الله من ذلك ما روي عن الإمام مالك ابن أنس (ت ١٧٩هـ) أنّه قال: " لا أوتى برجُل يفسِر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلّا جعلته نكالا " .[٤]

وهذا المصدر ليس محلّ خلافٍ؛ بل وقع بين العلماء ما يمكن اعتباره إجماعا عليه: " فقد منع العُلماء غير عالم في اللغة العربية أن يتعرض لتفسير القرآن الكريم، وأجمع المفسرون على اعتبارها مرجعا أصيلا ولا غنى عنه في الكشف عن معاني القرآن والوقف على سر جماله ومناط إعجازه " .[٥]

١ –
٢ –
٣ –
٤ –
٥ –

ومما يدلُّ على هذا الأمر ما فعله الزركشي في البرهان ؛ إذ جمع علوم القرآن وجعلها سبعة وأربعين نوعا منها ستة عشر من محض اللغة والنحو والبلاغة: منها عشرة أنواع متوالية في اللغة والنحو، وستة أنواع متوالية في البلاغة والبيان، هذه الأنواع اللغوية والنحوية والبلاغية ... تستغرق في مطبوعته أكثر من ثلثي صفحات الكتاب . [١]

كما نصَّ الزركشي على أهميّة اللغة حين عرّف التفسير بقوله: " التفسير علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان ... " . [٢]

ويظهر أنَّ للزركشي وعي خاص بأهميّة اللغة في التفسير، يتجلى ذلك في الأنواع التي خصّصها للجانب اللغوي، كما أنّه أفرد بابا كبيرا في الكلام على المفردات من الأدوات، وذكر أنّ الذي دعاه إلى البحث في هذه الأدوات حاجة المفسر إليها لاختلاف مدلولها . [٣]

وممن أكّد على أهميّة اللغة في التفسير الواحدي (ت ٤٦٨ هـ) حين قال : " وكيف يتأتى لمن جهلَ لسان العرب أن يعرف تفسير كتاب جعل معجزته في فصاحة ألفاظه ... إنّ مَثَلَ ذلك مَثَلُ من شهد الهيجا بغير سلاح، ورام أن يصعد الهواء بلا جناح " . [٤]

ويشير أبو زهرة (ت ١٣٩٤هـ) إلى الموقع المتميز للغة بين مصادر التفسير بقوله: " اللغة؛ إذ هي في ذاتها أداة التعبير، ولا يمكن الاستغناء عنها في أيِّ منهاج من مناهجه فهي لا تعد مصدرًا مستقلًّا ؛ إذ هي تدخل في كل المصادر " . [٥]

ويبيّن محمد الطاهر بن عاشور أهميّة اللغة بقوله في التحرير والتنوير: " إنّ القرآن كلام عربيّ فكانت قواعد العربية طريقا لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم، لمن ليس بعربي بالسليقة، ونعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي، وهي: متن اللغة، والتصريف، والنحو، والمعاني، والبيان، ومن وراء ذلك استعمال العرب المتبع من أساليبهم في خطبهم وأشعارهم وتراكيب بلغائهم " . [٦]

---

١ –

٢ –

٣ –

٤ –

٥ –

٦ –

ويُفهمُ من ذلك أنَّ معرفةَ اللُّغةِ العربيَّةِ شرطٌ في فَهْمِ القرآنِ؛ لأنَّ من أرادَ تفسيرَه، وهو لا يَعْرِفُ اللُّغةَ التي نزلَ بها القرآنُ، فإنه لا شَكَّ سيقعُ في الزَّلَلِ، بل سيحرِّف الكَلِمَ عن مَواضِعِهِ، كما حصلَ من بعضِ المبتدعةِ الذين حملوا القرآنَ على مصطلحاتٍ أو مدلولاتٍ غيرِ عربيَّةٍ، وإليك هذه الأمثلة التي تدلُّ على أثرِ الغفلةِ عن دلالةِ اللَّفظِ، أو جهلِ معناه في لغة العرب:

أسندَ أبو سليمان الخطَّابي (ت:٣٨٨) عن مالكِ بنِ دينارٍ (ت:١٢٧)، قال: " جَمَعَنَا الحسنُ لِعَرْضِ المصاحفِ: أنَا، وأبَا العاليةِ، ونَصْرَ بنَ عاصمٍ الليثي، وعاصماً الجحدري.

فقال رجلٌ: يا أبا العاليةَ، قوله تعالى في كتابِه: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ *الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ} [الماعون: ٤، ٥] ما هذا السهوُ ؟ قال: الذي لا يدري عنْ كَمْ ينصرفْ، عَنْ شَفْعٍ أو عن وِتْرٍ ؟.

قال الحسن: مَهْ يا أبا العالية، ليس هكذا، بلْ الذين سهوا عن ميقاتِها حتى تفوتَهم، قال الحسن: ألا ترى قولَه عزّ وجل: {عَنْ صَلاَتِهِمْ} [١] .

وإنما وقعَ أبو العالية (ت:٩٣) في ذلك، لأنَّه جعلَ دلالةَ الحرفِ (عن) بمعنى (في)، ولم يُفرِّقْ بينهما، قال أبو سليمان الخطَّابي (ت:٣٨٨): " وإنما أُتِيَ أبو العاليةِ في هذا حيثُ لم يُفَرِّقْ بَيْنَ حرف (عن) و(في)، فَتَنَبَّهَ له الحسنُ فقالَ: ألا ترى قوله: (عَنْ صَلاَتِهِمْ) يؤيدُ أنَّ السَّهْوَ الذي هو الغلطُ في العَدَدِ إنما يَعْرُضُ في الصَّلاةِ بعدَ ملابستِها، فلو كانَ هذا هوَ المراد لقيلَ: في صلاتِهم ساهون، فلما قال: (عَنْ صَلاَتِهِمْ) دَلَّ على أن المرادَ به الذهابُ عن الوقت" [٢] .

ومِنَ الأمثلةِ التي تَدُلُّ على الوقوعِ في الزَّلَلِ والتَّحريفِ: ما وقع لعَمْرِو بنِ عُبَيْدٍ (ت:١٤٤)، قالَ ابنُ خالويه (ت:٣٧٠): "كان عمرو بنُ عبيدٍ يُؤتى من قِلَّةِ المعرفةِ بكلامِ العربِ ... وقدْ كانَ كَلَّمَ أبا عمرو بن العلاء في الوعدِ والوعيدِ، فلم يُفَرِّقْ بينهما، حتَّى فَهَّمَه أبو عمرو، وقالَ: ويحك، إنَّ الرَّجلَ العربيَّ إذا وعدَ أنْ يُسِيءَ إلى رجلٍ، ثُمَّ لم يفعلْ، يقالُ: عَفَا وتكرَّمَ، ولا يقالُ: كذب ، وأنشد: [٣]

١ –

٢ –

٣ –

وإني إن أَوَعَدْتُهُ أو وْعَدْتُهُ *** لَمُخْلِفُ إِيعَادِي ومُنْجِزُ مَوعِدِي [1]

وقد أخرج هذا الأثرَ الخطيبُ البغدادي بسنده في تاريخ بغداد (١٢:١٧٥ – ١٧٦)، فقال: "عن الأصمعي قال: جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن العلاء، فقال: يا أبا عمرو، يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ ؟ قال: لا! قال: أفرأيت إن وعدَ على عملٍ عقاباً يخلف وعده؟ فقال أبو عمرو بن العلاء: من العجمة أُتِيتَ يا أبا عثمان، إن الوعد غير الوعيد، إنّ العرب لا تَعُدُّ خُلْفاً ولا عاراً أن تَعِدَ شراً ثم لا تفعله، وترى إن (كذا) ذلك كرماً وفضلاً، وإنما الخُلْفُ أن تَعِدَ خيراً ثم لا تفعلُه، قال: فأوجدني هذا في كلام العرب. قال: أما سمعت إلى قول الأول:

لا يَرْهَبُ ابنُ العَمِّ ما عِشْتُ صَولَتِي *** ولا أَحْتَشِي من خَشْيَةِ المتَهَدِّدِ

وإني وإنْ أَوْعَدْتُهُ أو وَعَدْتُهُ *** لَمُخْلِفُ إِيعَادِي ومُنجِزُ مَوعِدِي [2]

وقد حَكَى أبو حاتم السِّجِسْتَانِيُّ (ت:٢٥٥)، عن الأخفشِ النحويِّ البصريِّ (ت:٢١٥) أنه فسَّرَ قولَه تعالى: {فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ} [الأنبياء: ٨٧] من القُدْرَةِ ، قال الأزهري (ت:٣٧٠) : " قال [أي: أبو حاتم]: ولم يدرِ الأخفشُ ما معنى نَقْدِرْ، وذهبَ إلى موضعِ القُدْرَةِ، إلى معنى: فَظَنَّ أنْ يَفُوتَنَا)، ولم يعلمْ كلامَ العربِ، حتى قال: إنَّ بعضَ المفسرين قال: أرادَ الاستفهامِ: أفظنَّ أنْ لنْ نقدرَ عليه)، ولو عَلِمَ أنَّ معنى نَقْدِر: نُضَيِّقْ، لم يَخْبِطْ هذا الخَبْطَ، ولم يكنْ عالماً بكلامِ العربِ، وكانَ عالماً بقياسِ النَّحْوِ".

ثم قال الأزهري (ت:٣٧٠): "... والمعنى: ما قَدَّرَهُ اللهُ عليه من التَّضيِيْقِ في بطنِ الحوتِ، ويكونُ المعنى: ما قَدَّرَهُ اللهُ عليه من التضييق؛ كأنه قال: ظنَّ أن لن نُضَيِّقَ عليه، وكل ذلك شائعٌ في لغةِ العربِ، واللهُ أعلمُ بما أرادَ .

---

[1] –

[2] –

[3] –

[4] –

وعليه يمكننا القول: إنّ اللغة التي نزل بها القرآن هي الوعاء الذي أفرغت فيه جميع معانيه وأودعت فيه الأسرار واللطائف ما لا حصر ولا نهاية له، الكنز الدفين في لغة العرب وهو في معزل عن العقول التي لا تفقه من اللغة شيئا ولا تحاول أن تغوص في أعماقها وتتذوق أسرار الجمال فيها .[1]

محاضرة ٣: نشأة التفسير اللغوي عند السلف

١- تمهيد:

قام السَّلفُ رضي الله عنهم بتفسيرِ القرآنِ، وكان لهم مصادرُ يعتمدون عليها في بيانِ القرآنِ، وكانت هذه المصادرُ على قسمين: مصادرُ نقليةٌ، ومصادرُ استدلاليةٌ.

أما المصادرُ النَّقليةُ فتشملُ:

١ - ما يروونه عنِ الرسولِ صلّى الله عليه وسلّم .[2]

٢ - ما يرويه بعضُهُم عنْ بعضٍ.

٣ - ما يعرفونَه منْ أحوالِ منْ نزلَ فيهم الخطابُ منَ العربِ وأهلِ الكتابِ.

٤ - أسبابَ النُّزُولِ، وهذا النَّوعُ والذي قبلهُ قد يشتركان في مثالٍ واحدٍ، فيكونُ سببُ النُّزولِ بسببِ حالٍ من أحوالِ من نزلَ فيهم الخطابُ؛ كسببِ نزولِ آيةِ: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا} [البقرة: ١٥٨]، وذلكَ بسببِ تحرُّجِ الأنصارِ من الطَّوافِ بهما على أنهما من أمرِ الجاهليَّةِ .

٥ - ما يروونَه عنْ أهلِ الكتابِ، وهو ما اصطُلحَ عليه بالإسرائيلياتِ، وله أمثلةٌ كثيرةٌ، ومنها سؤالُ ابنِ عباسٍ (ت:٦٨) لعبد اللهِ بن سلام (ت:٤٣)، الذي كان من أحبارِ اليهودِ. عن سببِ تفقُّدِ سليمانِ عليه السلام للهدهدِ في قوله تعالى: {وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِي لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ} [النمل: ٢٠]، وأمَّا ما عدا ذلك، فإنَّه منَ المصادرِ الاستدلاليَّةِ المعتمدةِ على هذه المصادرِ النَّقليَّةِ.

وإذا تأمَّلْتَ التَّفسيرَ باللُّغةِ، فإنكَ ستجدُ أنَّ هذا المصدرَ يتنازعُه النَّقلُ والاستدلالُ، ذلك أنَّ التَّفسيرَ المعتمدَ على اللُّغةِ إذا كان لا يَحْتَمِلُ إلاَّ معنى واحداً، فإنه أَشْبَهُ بالمصادرِ النَّقليَّةِ لعدمِ وجودِ احتمالٍ آخرَ في تفسيرِه يحتاجُ إلى

[1] -
[2] -
[3] -

استدلالٍ، وإذا كان يحتملُ أكثرَ من معنى؛ فإنَّ حملَه على أحدِ هذهِ المحتملاتِ يعتمدُ على الرَّأيِ والاجتهادِ، وبذا يكونُ داخلاً في الاستدلالِ، ومثال ذلك:

١ – قولُه تعالى: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ} [الكوثر: ٣]، لم يقعْ خلافٌ في أنَّ تفسيرَ (شانئك): مُبْغِضُكَ، ذلك أنَّه لا يوجد لمعنى الشانئِ في لغةِ العربِ غيرُ هذا المعنى، قال ابن فارس (ت:٣٩٥): (الشينُ والنونُ والهمزةُ أصلٌ يدلُّ على البِغْضَةِ والتَّجنُّبِ للشَّيء)؛ لذا لا يمكنُ أنْ يحتملَ التَّفسيرُ قولاً آخرَ، فالتَّفسيرُ اللُّغويُّ . في مثلِ هذه الحالةِ . أشبهُ بأنْ يكونَ تفسيراً نقلياً، لأنه لا أثرَ في مثلِ هذا المثالِ لاجتهادِ المفسِّرِ في اختيارِ أحدِ المحتملاتِ اللُّغويَّةِ.

٢ – ورد في معنى (الهيمِ) من قوله تعالى: {فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ} [الواقعة: ٥٥] قولان :[١]

القولُ الأوَّلُ: الإبلُ العِطاشُ.

وردَ ذلكَ عن ابنِ عبَّاسٍ (ت:٦٨)، ومجاهدٍ (ت:١٠٤)، وعكرمةَ (ت:١٠٥)، والضَّحَّاكِ (ت:١٠٥)، وقتادةَ (ت:١١٧) .[٢]

القولُ الثاني: الرَّملُ، ورد ذلك عن سفيانَ الثَّوريِّ (ت:١٦١)

ومرجعُ الخلافِ في هذا التَّفسيرِ إلى الاحتمالِ اللُّغويِّ في كلمةِ الهِيمِ؛ لأنها تحتملُ هذا وذاك على سبيلِ الاشتراكِ اللُّغويِّ في المدلولِ.

ومن ثَمَّ، فاختيارُ المفسِّرِ أحدَ المعنيينِ المحتملينِ اجتهادٌ منه، وهو راجعٌ إلى الاستدلالِ.

والمقصودُ أنَّ السَّلفَ من الصحابةِ والتَّابعينَ وأتباعِهم كانوا يرجعون إلى لغتِهم العربيَّةِ لبيانِ القرآنِ، حيثُ كانت أحدَ مصادرِهم التي يعتمدونَ عليها في التَّفسيرِ .[٣]

٢– التفسير اللغوي للنبيّ صلى الله عليه وسلم

يقول مساعد الطيّار" لقد استقرأتُ التَّفسير النَّبويَّ للقرآنِ الكريمِ، ووجدتُ أنَّه صلّى الله عليه وسلّم لم يفسرْ للصَّحابةِ منْ ألفاظِ القرآنِ إلاَّ ما احتاجوا إليه، وهو قليلٌ، ومنْ ذلك: تفسيرُه معنى الوسطِ في قولِه تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} [البقرة: ١٤٣] قال: (والوسطُ: العدلُ).

---

١ –

٢ –

٣ –

ومنه تفسيرُه الخيطَ الأبيضَ والأسودَ في قولِه تعالى: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ} [البقرة: ١٨٧] عندما أشكلَ على عَدِيِ بنِ حاتمٍ، ففسَّرَه له صلّى الله عليه وسلّم بأنَّه بياضُ النَّهارِ وسوادُ اللَّيلِ .[١]

وهذا يعني أنَّ الصَّحابةَ رضي الله عنهم كانوا يتأوَّلُونَ القرآنَ على ما يفهمُونَه من لغتِهم؛ لوضوحِ ذلك عندهم، فإذا أشكلَ عليهم منه شيءٌ سألوا رسولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم .[٢]

٣- طريقة السَّلفِ في التَّفسير اللُّغويِّ:

كانَ البيانُ اللَّفظيُّ في تفسيرِ السَّلفِ واضحاً، وهو أحدُ طرقِ البيانِ عن التَّفسيرِ، كما سيأتي، وهذا النَّوعُ هو الأصلُ في البيانِ عن المعاني، والمرادُ به تفسيرُ اللَّفظِ بما يطابقهُ من لغةِ العربِ، مع ذكرِ الشَّواهدِ إن وُجِدَتْ، وهذا ما يمكنُ أن يُصطلَح عليه بالتَّفسير اللَّفظيِّ.

هذا، وقد برزَ عندَ السَّلفِ الاهتمامُ بالمدلولِ السِّياقيِّ للَّفظِ، وهذا موجودٌ عندهم في كتبِ الوجوهِ والنَّظائرِ، وعليه سنتطرق بشيء من التفصيل إلى:

١- أسلوبُ التَّفسيرِ اللَّفظيِّ.

٢- أسلوبُ الوجوه والنَّظائر .[٣]

أ- الأسلوبُ الأول: أسلوب التَّفسير اللَّفظيِّ

أسلوبُ التَّفسيرِ اللَّفظيِّ: أن يكون اللَّفظ المفسِّرُ مطابقاً لِلَّفْظِ المفسَّرِ، مع الاستشهاد عليه - أحياناً - من لغة العرب شعراً أو نثراً، ولقد كان لهذا الأسلوبِ مكانُه في تفسيرِ السَّلفِ، وهو على طريقينِ:

الطريق الأولُ: أنْ يذكروا معنى اللَّفظَةِ في اللُّغةِ دونَ أنْ ينصُّوا على ما يدلُّ عليها من شعرٍ أو نثرٍ.

الطريق الثاني: أن ينصُّوا على الاستدلالِ بلغةِ العربِ في تفسيرِ اللَّفظةِ، وهو قسمانِ: القسمُ الأولُ: أنْ يستشهدوا بالشِّعرِ، القسم الثاني: أنْ يستشهدوا بالنَّثرِ، وهو نوعانِ: النَّوعُ الأولُ: أنْ ينصُّوا على لغةِ القبيلةِ التي نزلَ القرآنُ بلفظِها، النَّوعُ الثاني: أنْ يَرجعوا إلى منثورِ كلامِهم دونَ أنْ ينصُّوا على لغةِ قبيلةٍ بعينِها، وعليه سنتطرق إلى بيان هذه الأقسامِ بأمثلتِها من تفسيرِ السَّلفِ :[٤]

---

١ -

٢ -

٣ -

٤ -

أولاً: الطَّريقُ الأولُ: أنْ يذكروا معنى اللَّفظِ في اللُّغةِ، دونَ أنْ ينصُّوا على ما يدلُّ عليه من شعرٍ أو نثرٍ.

وهذا هو الأغلبُ فيما ورد عنهم من تفسيراتِهم اللُّغويَّةِ، إذ يَنُصُّ المفسِّرُ منهم على معنى اللَّفظِ، دون أن يستشهد لتفسيره هذا، ومن أمثلةِ ذلك ما يلي:

١ – أخرجَ الطَّبريُّ (ت:٣١٠) عن عمرَ بنِ الخطابِ (ت:٢٣) أنه سُئلَ عن قولِ اللهِ عزّ وجل: {وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ} [التكوير: ٧]، قال: " يُقرنُ بينَ الرَّجلِ الصَّالحِ مع الصَّالِحِ في الجنَّةِ، وبَين الرَّجلِ السُّوءِ مع الرَّجلِ السُّوءِ في النَّارِ" ، فقولُه: (يقرن)، تفسيرٌ لمعنى التَّزويجِ في الآيةِ. وهذا هو أصلُ معنى اللَّفظِ لغويًّا. قالَ ابنُ فارسٍ (ت:٣٩٥): "الزَّاءُ والواوُ والجيمُ: أصلٌ يدلُّ على مقارنةِ شيءٍ لشيءٍ" [٢] .

٢ – وردَ عن ابنِ عباسٍ (ت:٦٨) في معنى (دِهَاقاً) من قولِه تعالى: {وَكَاسًا دِهَاقًا} [النبأ: ٣٤] قال: (ملأى) ، وقد وردَ ذلك عن مجاهدٍ (ت:١٠٤)، والحسنِ البصري (ت:١١٠)، وقتادةَ (ت:١١٧)، وابنِ زيدٍ (ت:١٨٢)، وفي أصلِ معنى هذهِ اللَّفظةِ، قالَ ابنُ فارسٍ (ت:٣٩٥): " الدَّالُ والهاءُ والقافُ: يَدلُّ على امتلاءٍ في مجيءٍ وذهابٍ واضطرابٍ. يقالُ: أَدْهَقْتُ الكأسَ: ملأتُها، قال تعالى: {وَكَاسًا دِهَاقًا} [النبأ: ٣٤] " [٤] .

ثانياً: الطريقُ الثاني: أنْ يستدلوا لمعنى اللَّفظةِ من لغتِهم. وذلك قسمانِ [٥] :

١– القسمُ الأولُ: أنْ يستشهدوا لذلك بالشِّعرِ.

لقد كان الشِّعرُ ديوانَ العربِ، إذ فيه مخزونٌ من حضارتِهم ولغتِهم، وكانَ السَّلفُ يعمدونَ إلى تلك الأشعار العربيَّةِ فيستعينونَ بها في التَّفسير، ولمْ تكنْ قليلةً، وإن كانت من أقلِّ الواردِ عنهم في التَّفسيرِ اللُّغويِّ، ومن الأمثلةِ الواردةِ عنهم في ذلك:

١ – عن عكرمةَ (ت:١٠٥) أنَّ ابنَ عباسٍ (ت:٦٨) سُئِلَ عن قولِه تعالى: {وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ} [المدثر: ٤] قالَ: لا تلبسْها على غَدْرَةٍ ولا فَجْرَةٍ، ثمَّ قالَ: ألا تسمعون قولَ غيلانَ بنِ سلمةَ:

إني بِحَمْدِ اللهِ لا ثَوبَ فَاجِرٍ *** لَبَسْتُ، ولا مِنْ غَدْرَةٍ أتَقَنَّعُ

وبهذا قال الفراء (ت:٢٠٧): " لا تكن غادراً فتدنِّسَ ثيابَك، فإنَّ الغادرَ دَنِسُ الثيابِ ".

---

١ –

٢ –

٣ –

٤ –

٥ –

٢ – وعن عكرمةَ (ت:١٠٥)، عن ابنِ عباسٍ (ت:٦٨) في قولِه تعالى: {فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ} [النازعات: ١٤]، قال: " على الأرضِ ، قال: فذكرَ شعراً قالُه أُميةُ بنُ أبي الصلتِ، فقال:

عندنا صيد بحر وصيد ساهرة ".

هذا المعنى حكاهُ أهلُ اللُّغةِ، ومن ذلك ما ذكره ابن فارس (ت:٣٩٥)، قال: " ويقالُ للأرضِ: السَّاهرةُ، سُمِّيتْ بذلك لأنَّ عملها في النَّبْتِ دائماً ليلاً ونهاراً، ولذلك يقالُ: خيرُ المالِ عينٌ خرَّارَةٌ، في أرضٍ خوَّارةٍ، تسهرُ إذا نِمْتَ، وتشهدُ إذا غِبْتَ، وقال أُميةُ بنُ أبي الصلتِ:

وفِيهَا لَحْمُ سَاهِرَةٍ وَبَحْرٍ *** وَمَا فَاهُوا بِهِ لَهُمُ مُقِيمُ [٢]

٢– القسمُ الثاني: أن يستشهدوا بالنَّثْرِ:

وهو نوعان:

أ– النوعُ الأولُ: أنْ يَنُصُّوا على لغةِ القبيلةِ التي نزلَ القرآنُ بلفظِها [٣]

نزل القرآنُ بجملةٍ من ألفاظِ قبائلِ العربِ، أمَّا أغلبُه فكانَ بلغةِ ، الرسول صلّى الله عليْه وسلّم: لغةِ قريشٍ؛ لذا كان المفسِّرونَ من السَّلفِ يُعيِّنونَ القبيلةَ التي نزل القرآنُ بلفظِها، ولَعَلَّ هذا يُفسِّرُ ما وقعَ لبعضِ الصَّحابةِ رضي الله عنهم من جهلِ شيءٍ من معاني ألفاظِه؛ كالذي وقعَ لعمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه في عدمِ معرفتِه معنى (الأبِّ) من قوله تعالى: {وَفَاكِهَةً وَأَبًّا} [عبس: ٣١]، عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: " قرأ عمرُ بنُ الخطابِ: {وَفَاكِهَةً وَأَبًّا} [عبس: ٣١]، ومعه عصا في يدِه، فقال: ما الأَبُّ؟، ثمَّ قالَ: بِحَسبِنَا ما قد عَلِمنَا، وألقى العصا من يدِه"، والذي وقع لابن عباس (ت:٦٨) في لفظ: فاطر السموات، فقد ورد عنه أنَّه قـالَ: "كنتُ لا أدري ما فاطر السَّموات؟ حتى أتاني أعرابيَّان يختصمان في بئرٍ، فقال أحدهُما: أنا فطرتها، يقول: أنا ابتدأتها"، ومن أمثلة ما فسَّروه بلغات العرب : [٥]

عن عكرمةَ (ت:١٠٥)، عن ابنِ عباس (ت:٦٨) في قوله تعالى: {وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ} [النجم: ٦١] قالَ: " هو الغِناءُ. كانوا إذا سَمِعُوا القرآنَ تَغَنَّوا ولَعِبُوا، وهي لغةُ أهلِ اليمنِ. قالَ اليمانيُ: اسْمُد" . [٦]

---

١ –

٢ –

٣ –

٤ –

٥ –

٦ –

كذا ورد عن ابن عباس رضي الله عنه، وقد نقلَ عنه أهلُ اللُّغةِ هذا المعنى، قالَ الزَّبيدي (ت:١٢٠٥): " سَمَدَ سُمُوداً: غَنَّى، قالَ ثعلبٌ: وهي قليلةٌ، وقوله عزّ وجل: {وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ} [النجم: ٦١] فُسِّرَ بالغناءِ، ورُوِيَ عن ابن عبَّاسٍ أنه قال: السُّمودُ: الغناء بلغةِ حِمْيَرَ، وزاد في الأساس؛ لأن المغَنِّيَ يرفعُ رأسَه ويَنْصِبُ صدرَه، ويقال للقينة: اسمُدينا؛ أي: ألهينا بالغناءِ" .[١]

ب– النوع الثاني: أن يرجعوا إلى منثورِ كلامِهم، دونَ أن ينصُّوا على لغةِ قبيلةٍ بعينِها.

يعتمدُ المفسِّرُ في هذا النَّوعِ على شيءٍ من كلامِ العرب المنثورِ، أو ينصُّ على أنَّ هذا من لغةِ العربِ، ومن أمثلةِ ذلك:

١ – عن ابنِ مسعودٍ (ت:٣٥) في قولِه تعالى: {خِتَامُهُ مِسْكٌ} [المطففين: ٢٦] قال: " إنه ليسَ بالخَاتِمِ الذي يختمُ، أمَا سمعتُمُ المرأةَ من نسائِكُم تقولُ: طِيبُ كذا وكذا خِلْطُهُ مِسْكٌ " .[٢]

٢ – وعن ابن عباس (ت:٦٨) في قوله تعالى: {وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ} [المدثر: ٤]، قال: " مِنَ الإثمِ، ثُمَّ قالَ: نَقِيُّ الثِّيابِ في كلامِ العربِ " ، والمراد بقوله: (نقيُّ الثِّياب)؛ أي: أنَّ فِعْلَه فعلٌ محمودٌ، وقد ورد في اللُّغةِ: " فلانٌ دَنِسُ الثِّيابِ: إذا كان خبيث الفعلِ والمذهبِ خبيث العِرْضِ، قال امرُؤ القيسِ :[٤]

ثِيَابُ بني عَوفٍ طَهَارَى نَقِيَّةٌ *** وأَوجُهُهُم بِيضُ المِسَافِرِ غرَّانُ

ب– الأسلوب الثاني: أسلوبُ الوجوه والنَّظائر

ظَهَرَ لهذا العلم تسميتان: الوجوهُ والنَّظائرُ، والأشباهُ والنظائرُ، والغالبُ من هاتين التَّسميتين التَّسميةُ الأولى ، وبالرجوع إلى كتبِ اللُّغةِ؛ لمعرفةِ معنى الأشباهِ، وهل بينه وبين النَّظائرِ فرقٌ في المعنى نجد ما يلي:

١. الأشباهُ والنَّظائرُ في اللُّغةِ:

ورد في القاموسِ المحيطِ: "الشِّبهُ . بالكسرِ والتحريكِ وكأميرٍ .: المِثْلُ، والجمعُ: أشباهٌ"[٦]

١ –

٢ –

٣ –

٤ –

٥ –

٦ –

وقال الزَّبيديُّ (ت:١٢٠٥) في شرحه: "النَّظيرُ ـ كأميرٍ ـ والمَناظِرُ: المِثيلُ والشَّبِيهُ في كلِّ شيءٍ، يقال: فلانٌ نَظِيرُكَ؛ أي: مِثْلُكَ؛ لأنَّه إذا نَظَرَ إليهما النَّاظِرُ رآهما سواءً" ، وقال: " والنَّظَائِرُ: الأفَاضِلُ والأمَاثِلُ؛ لاشْتِبَاهِ بعضهم ببعضٍ في الأخلاقِ والأفعالِ والأقوالِ" .[٢]

ومن هذا يتبينُ أنَّ لفظيْ الأشباهِ والنَّظَائرِ يأتيان في اللُّغة لمعنىً واحدٍ، ولَمَّا لَم يتبينْ مرادُ من أطلقَ الأشباهَ والنَّظائرَ على هذا العلمِ، فإنَّ اللُّغةَ تُحَكَّمُ في هذا، ويكونُ معنى الأشباهِ هو معنى النَّظائرِ.

٢. الوجوهِ والنَّظائر في الاصطلاح:

غلبَ هذا المصطلحُ على المؤلَّفات التي كُتِبَتْ في هذا العلمِ، وقد اختلفَ العلماءُ في بيانِه ، وبالرجوع إلى أوَّلِ كتابٍ فيه: كتابِ مقاتلِ بنِ سليمانَ البلخيِّ (ت:١٥٠) يتبيّنَ منه المرادَ بهذا المصطلحِ؛ لأنَّ من كتبَ بعده في هذا العلمِ عَالَةٌ عليه، وباستقراءِ هذا الكتاب، يظهرَ مرادُه بعلمِ الوُجُوهِ والنَّظائِر، وبهذا المثال الذي يتبيَّنُ مرادُه بالوجوه والنَّظائرِ:[٣]

قال مقاتل (ت:١٥٠): " تفسيرُ الحسنى على ثلاثةِ أوجهٍ: فوجهٌ منها: الحسنى؛ يعني: الجنَّةَ، فذلك قولُه في يونسَ: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى} [يونس: ٢٦]؛ يعني: الذين وَحَّدُوا لهم الحسنى؛ يعني: الجنَّةَ، {وَزِيَادَةٌ} [يونس: ٢٦]؛ يعني: النَّظرَ إلى وجهِ اللهِ.

ونَظِيرُها في النَّجمِ، حيثُ يقولُ: {وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى} [النجم: ٣١]؛ يعني: بالجنَّةِ، وكقولِه في الرحمنِ: {هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ} [الرحمن: ٦٠] يقول: هلْ جزاءُ أهلِ التَّوحيدِ إلا الجنَّةَ ، الوجه الثاني: الحسنى؛ أي: البنون، فذلك قول الله تعالى في النَّحْلِ: {لَهُمُ الْحُسْنَى} [النحل: ٦٢]؛ أي: البنون.

والوجه الثالث: الحسنى؛ يعني: الخيرَ، فذلك قولُه في براءة: {إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى} [التوبة: ١٠٧] يقولُ: ما أردنا ببناء المسجدِ إلاَّ الخيرَ، ونظيرها في النساءِ: {إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَاناً وَتَوْفِيقًا} [النساء: ٦٢]، يعني: الخير".

تحليلُ هذا المثالِ:

١ – إنَّ مقاتلَ بنَ سليمان (ت:١٥٠) جعلَ لفظَ الحسنى في القرآن على ثلاثةِ وجوهٍ: (الجنَّة، والبنون، والخير)، وهذه الوجوهُ معانٍ مختلفةٌ لهذه اللَّفظةِ.

---

١ –

٢ –

٣ –

٤ –

٢ – وإنه يكفي في الوجوه اتفاقها في المادَّةِ، وإن لم تتفقْ في صورةِ اللَّفظِ؛ كالحسنى والإحسان.

٣ – وإنه في الوجه الأولِ فَسَّرَ الحسنى في آيةِ يونسَ بأنها الجنَّة، ثمَّ جعل الحسنى في آية سورةِ النَّجمِ نظيرةً لآيةِ سورةِ يونس.

وفسَّرَ الحسنى في آية سورة براءة بأنها الخير، ثُمَّ جعلَ الحسنى في آية سورة النِّساء نظيرةً لها، فهما موضعان مختلفان من القرآنِ، لكنهما اتفقا في مدلولِ اللَّفظةِ، وهذا يعني أنَّ تماثلَ المدلولِ في الآيتينِ هو النظائرُ .[٢]

٤ – وإنّه لم يذكر في الوجه الثاني نظيراً للآيةِ، وهذا يعني أنَّه لا يلزمُ أن يكونَ في كلِّ وجهٍ من الوجوهِ نظائرُ من الآيات، ومن هذا الموضع المنقولِ عن مقاتلٍ (ت:١٥٠) يتحرَّرُ مصطلحُ الوجوهِ والنَّظائرِ، ويكونُ كالآتي:

الوجوهُ: المعاني المختلفةُ لِلَّفظةِ القرآنيةِ في مواضعِها من القرآنِ.

والنَّظَائِرُ: المواضعُ القرآنيةُ المتعدِّدَةُ للوجهِ الواحدِ التي اتفقَ فيها معنى اللَّفظِ، فيكون معنى اللَّفظ في هذه الآية نظيرَ (أي: شبيه ومثيل) معنى اللَّفظ في الآيةِ الأخرى.

٣. بداية الكتابة في هذا العلم:

برزتْ كتبُ هذا العلمِ في عهد أتباعِ التَّابعينَ، وقدْ كتبَ فيه منهم:

١– مقاتلُ بنُ سليمانَ البلخيُّ (ت:١٥٠)، وكتابه: الوجوه والنَّظائر.

٢– أبو عليٍّ الحسينُ بنُ واقدٍ المروزيُّ (ت:١٥٩)، وكتابه: وجوه القرآن .[٣]

٣ – هارونُ بن موسى الأعورُ (ت:١٧٠ تقريباً)، وكتابه: الوجوه والنَّظائر.

٤ – يحيى بنُ سلامٍ (ت:٢٠٠)، وكتابه: تفسيرُ القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرَّفت معانيه، وقد عَنْوَنَتْ له المحقِّقَةُ بعنوان (التَّصاريف) بناءً على ما جاء في أول ورقة من المخطوطِ.

٤. علاقةُ الوجوهِ والنَّظائر بالتَّفسير اللُّغويِّ:

يظهر من كُتبِ هذا العلمِ أنَّ البحثَ فيه يتعلَّقُ بالنَّصِّ القرآنيِّ مباشرةً، حيثُ يستنبطُ المفسِّرُ معانيَ الوجوهِ والنَّظائرِ من الآيات مباشرةً، ويقتنصُها من السِّياقِ القرآنيِّ الذي وردت فيه اللَّفظةُ، ولذا كثُرتْ عندهم الوجوهُ في

[١] –

[٢] –

[٣] –

بعضِ الألفاظِ بسببِ النَّظرِ إلى الاستعمالِ السِّياقيِّ، دون الاقتصارِ على أصلِ المدلولِ اللُّغويِّ [1] ، وعند بحثِ علاقةِ الوجوهِ والنَّظائرِ القرآنيَّةِ باللُّغةِ، فإنَّ الأمرَ فيه جانبانِ مرتبطانِ باللُّغةِ:

الأولُ: الأصلُ الجامعُ لمعنى اللَّفظِ في لغةِ العربِ، ومعرفةُ علاقةِ هذه الوجوهِ بهذا الأصلِ [2] .

الثاني: أنَّ بعضَ هذه الوجوهِ تكونُ دلالاتٍ لغويَّةً مباشرةً، وقد تتعدَّدُ الوجوهِ بتعدُّد هذه الدلالاتِ، والنَّظرُ في ذلكَ يرجعُ إلى استعمالِ العربِ حسبما قرَّرهُ أهلُ اللُّغةِ.

وإذا وُجِدَ في كُتبهم شيءٌ من الوجوهِ لا يوجدُ له دلالةٌ مباشرةٌ في كتبِ أهل اللُّغةِ، فإنَّ هذا لا يعني خروجَه عن اللُّغةِ، ولكنْ يُلْحَظُ أنَّهُ لا بدَّ من وجودِ ارتباطٍ بينه وبينَ أصلِ المعنى اللُّغويِّ.

وسأذكر من الأمثلةِ ما يوضِّحُ ذلكَ:

قال مقاتل (ت:١٥٠): " تفسيرُ اللَّبسِ على أربعةِ وجوهٍ: فوجهٌ منها: يلبسونَ؛ يعني: يخلِطونَ، فذلكَ قوله في البقرةِ: {وَلاَ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ} [البقرة: ٤٢]؛ يعني: لا تخلِطوا، ونظيرها في آل عمرانَ: {لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ} [آل عمران: ٧١]؛ يعني: لمَ تخلِطونَ، كقوله في الأنعامِ: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} [الأنعام: ٨٢]؛ يعني: لم يخلِطوا الإيمانَ بالشِّرك.

والوجه الثاني: اللِّباسُ؛ يعني: سَكَنٌ ، فذلك قوله في البقرة: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ} [البقرة: ١٨٧]، يقول: نساؤكم سكنٌ لكم، {وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ}؛ يعني: سكنٌ لهنَّ؛ كقولِه في الفرقانِ: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا} [الفرقان: ٤٧]؛ يعني: سكناً، نظيرُها في عمَّ يتساءلونَ: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا} [النبأ: ١٠]؛ يعني: سكناً [3] .

والوجهُ الثالثُ: اللِّباسُ؛ يعني: الثِّياب الَّتي تُلبَسُ، فذلك قوله في الأعراف: {قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا} [الأعراف: ٢٦]؛ يعني: الثياب.

وقال في حم الدُّخان: {يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ} [الدخان: ٥٣]؛ يعني: الثياب.

والوجهُ الرابعُ: يعني العملَ الصالحَ، كذلك قوله في الأعرافِ: {وَلِبَاسُ التَّقْوَى} [الأعراف: ٢٦]؛ يعني: العمل الصالح" [4] .

---

١ –

٢ –

٣ –

٤ –

٥ –

تحليلُ هذه الوجوه:

١ – أصلُ مادةِ (لبس) يدلُّ على مخالطةٍ ومداخلةٍ، كما قاله ابن فارسٍ (ت:٣٩٥) ، والوجه الأولُ من الوجوه التي ذكرها مقاتلٌ (ت:١٥٠) جاءَ على أصلِ مادَّةِ اللَّفظِ.

٢ – غلبَ إطلاقُ لفظِ اللِّباسِ على الثِّيابِ الملبوسةِ، فصارَ شيوع هذا المعنى أشبهَ بأن يكونَ أصلَ المادَّةِ ، وإن كانَ في حقيقتِه يعودُ إلى معنى المخالطةِ والمداخلةِ، وعلى هذا المعنى المشهورِ جاء تفسيرُ الوجه الثالثِ من الوجوه التي ذكرها مقاتلٌ (ت:١٥٠).

٣ – أمَّا الوجه الثَّاني والرَّابع، فإنه نحى به إلى التَّفسيرِ على المعنى، ولم يبيِّنْ مدلولَ اللَّفظِ المباشرِ، وإن كانَ يعودُ إلى أصلِ المادَّةِ الدَّالِّ على الاختلاطِ، وهو ألصقُ بالمدلولِ المشهور في المادَّةِ، وهو اللِّباسُ ، فقوله تعالى: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ} [البقرة: ١٨٧] فيه تشبيهٌ للزوجينِ باللِّباسِ، لشدَّةِ مخالطتهما فيما بينهما، كما قال الشاعر :

إذا ما الضَّجِيعُ ثَنَى جيدَهَا *** تَدَاعَتْ، فَكَانَتْ عَلَيْهِ لِبَاساً

وتفسيرُه اللِّباسَ في هذه الآية بأنه السَّكنُ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ من الزوجينِ يسكنُ إلى صاحبِه؛ كما يدلُّ عليه قوله تعالى: {وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا} [الأعراف: ١٨٩]، وقوله: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا} [الروم: ٢١]، فكأنَّه نظرَ إلى هذه الآيةِ ففسَّرَ اللِّباسَ بالسكنِ، وهو تفسيرٌ لا يَخْرُجُ عن معنى المخالطةِ، لأنَّ الساكنَ مخالطٌ لمسكنِه، وقوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا} [الفرقان: ٤٧] ونظيره من سورة النَّبأ، هو من بابِ تشبيهِ الليلِ باللِّباسِ الذي يستُرُ الإنسانَ؛ أي أنَّ اللِّباسَ كما يسترُ جسمَ الإنسانِ، فكذلك اللَّيل يسترُ الإنسانَ.

وتفسيرُه اللِّباسَ في هاتينِ الآيتينِ بأنه (السكنُ)، كأنَّ فيه إشارةً إلى تفسيرِها بما وردَ في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا} [يونس: ٦٧]، وقوله تعالى: {أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا} [النمل: ٨٦]، وغيرها من الآياتِ الدَّالَّةِ على هذا المعنى الذي لا يَخْرُجُ . أيضاً . عن معنى المخالطةِ، لأنَّ اللَّيلَ يختلطُ بالإنسانِ ويغطِّيه، فيكون له كاللِّباسِ الذي يلبسُه.

وأما تفسيرُه قولَه تعالى: {وَلِبَاسُ التَّقْوَى} [الأعراف: ٢٦] بأنّه العملُ الصالحُ، فهو تفسيرٌ على المعنى؛ لأنَّ المرادَ بلباسِ التقوى استشعارُ النَّفسِ تقوى الله، في الانتهاء عمَّا نهى الله عنه، وإتيان ما أمر الله به، وذلكَ يجمعُ الإيمانَ

١ –

٢ –

٣ –

٤ –

والعملَ الصالحَ، فتلبُّسُه بهذا يدلُّ على المخالطةِ منه لهذه الأمورِ، حتى كأنّها عليهِ كاللِّباسِ الذي يلبسُه، فكما يظهر أثرُ لباسهِ عليه، يظهرُ عليه أثرُ التقوى بعمل الطَّاعات واجتنابِ المنهيَّاتِ، وما يلحقُ ذلكَ من حُسنِ السَّمتِ والحياءِ وغيرِها من أخلاقِ الإيمانِ.

٥. كُلِّيَّات الألفاظِ القرآنيَّة:

المرادُ بكلِّيَّات الألفاظِ القرآنيَّةِ، ما يُصَدِّرُ به المفسِّرونَ تفسيرَ بعضِ الألفاظِ بقولِهم: كُلُّ ما في القرآنِ من كذا، فهو كذا، وهذا هو الغالبُ في التَّعبيرِ عن كليَّاتِ القرآنِ، وقد يردُ التَّعبيرُ عنها بغير لفظِ (كل)، مثل: ما ورد في القرآن من كذا، فهو كذا، ولهم في ذكرِها طريقتان:

الأولى: أنْ ينُصُّوا على انخرامِ الكُلِّيَّةِ في اللَّفظِ المفسَّرِ، ومثالُ ذلك ما قاله ابن فارس (ت:٦٩٥): "ما في القرآنِ من ذِكْرِ البعلِ فهو الزوجُ؛ كقوله تعالى: {وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ} [البقرة: ٢٢٨]، إلا حرفاً واحداً في الصَّافَّاتِ: {أَتَدْعُونَ بَعْلاً} [الصافات: ١٢٥]، فإنه أراد صنماً" [١].

وبتأملِ هذا النوعِ من الكلياتِ يظهرُ أنّه مندرجٌ في الوجوهِ والنَّظائرِ، غيرَ أنه هاهنا لا يكونُ لِلَّفظةِ إلا معنيانِ، أحدُهما هو المطَّرِدُ في مواضعِ اللَّفظةِ من القرآنِ، والآخرُ يكونُ في موضعٍ أو موضعينِ، وعندَ حكايةِ ما ذكرَهُ ابنُ فارسٍ (ت:٣٩٥) على أسلوبِ الوجوهِ والنظائرِ، فإنّه يكونُ كالآتي: البعل، له في القرآنِ وجهان:

الأولُ: الزَّوجُ، ومنه قولُه تعالى: {وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ} [البقرة: ٢٢٨]، ونظيرُها قولُهُ تعالى: {وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا} [هود: ٧٢]، ونحوُها.

الثاني: صنمٌ، وهو قولُه تعالى: {أَتَدْعُونَ بَعْلاً} [الصافات: ١٢٥]؛ أيْ: صنماً.

وعلى هذا الأسلوب، صار لِلَفظِ البعلِ وجهانِ، وللوجه الأولِ نظائرٌ، وهذا الأسلوبُ في الكليَّةِ المنخرمةِ غيرُ موجودٍ عند السَّلفِ، بل هو موجودٌ عندهم على أسلوب الوجوه والنَّظائر.

الثانية: أن لا ينصوا على انخرامِ الكليةِ، وهذا يحتاجُ إلى تتبع معنى اللَّفظةِ في كلِّ القرآن، وأن تكون بمعنىً واحدٍ في كلِّ هذه المواضع، فإذا كانت كذلك، فإنها تكون كلِّيةً تامَّةً غيرَ مُنْخَرِمَةٍ، ويمكنُ أنْ يصبحَ هذا ، المعنى مصطلحاً قرآنيًّا؛ أي أنَّه أينما وردَ هذا اللَّفظُ في موضعٍ من القرآنِ، فإنه لا يحتملُ غيرَ هذا المعنى، ومن الأمثلةِ الواردةِ عن السَّلفِ في ذلك: لفظ (أليم)، قال الضَّحَّاكُ (ت:١٠٥): " كلُّ شيءٍ في القرآن من الأليمِ فهو الموجعُ "، وقد [٢]

[١] –

[٢] –

وَرَدَتْ هذه اللَّفظة في القرآن اثنتين وسبعين مرةً، وَوَرَدَتْ بصيغةِ: تألمون ويألمون ثلاثَ مراتٍ، وهذا المعنى الذي جعله الضَّحَّاكُ (ت:١٠٥) معنًى كُلِّيًّا لهذه اللَّفظةِ، هو المعنى اللُّغويُّ لها.

قال ابنُ فارسٍ (ت:٣٩٥): "الهمزة واللام والميم: أصلٌ واحدٌ، وهو الوجعُ"، وبناءً على قولِ الضَّحَّاكِ (ت:١٠٥)، فإنَّ هذه الكلمةِ أينما وُجِدَتْ في القرآنِ، فإنها بمعنى الأ لِم، ومما يلاحظُ على هذا المعنى أنه هو المعنى اللُّغويُّ الوحيدُ لهذه اللَّفظةِ.

ومن هذا البيان يظهرُ أنَّ الكلِّيَّةَ التَّامَّةَ في الألفاظ القرآنيَّةِ بحثٌ يقابلُ الوجوهَ والنَّظائرَ؛ لأنَّ كتبَ الوجوهِ والنَّظائرِ تذكرُ اللَّفظَ الذي يكونُ له أكثرُ من وجهٍ دونَ غيرِهِ، والكُلِّياتُ التَّامَّةُ يُذكرُ فيها اللَّفظُ الذي له معنًى واحدٌ ، ومما وردَ عنِ السَّلفِ منْ كُلِّيَّات في الألفاظِ القرآنيَّةِ ما يلي:

١ – عن مجاهدٍ (ت:١٠٤) قال: "كُلُّ ظَنٍّ في القرآنِ فهو علمٌ "، وفي روايةٍ: (يقين) .[٢]

هذا المعنى الذي ذكره مجاهدٌ (ت:١٠٤) للفظةِ الظَّنِّ هو أحدُ المعاني اللُّغويَّةِ لهذا اللفظِ، قالَ ابنُ فارسٍ (ت:٣٩٥): " الظَّاءُ والنُّونُ: أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على معنيين مختلفين: يقينٍ وشكٍّ، فأمَّا اليقينُ، فقولُ القائلِ: ظَنَنْتُ ظَنًّا؛ أي: أَيْقَنْتُ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاَقُو اللَّهِ} [البقرة: ٢٤٩] أرادَ: يوقنونَ، والعربُ تقولُ ذلك وتعرفُه، قال شاعرُهُم :[٣]

فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بِأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ *** سَرَاتُهُمْ فِي الفَارِسِيِّ المسَرَّدِ

أرادَ: أَيْقِنُوا، وهو في القرآن كثير" .[٤]

٢ – وعنْ سعيدِ بنِ جبيرٍ (ت:٩٤) قالَ: " كُلُّ شيءٍ في القرآنِ إفكٌ فهو كَذِبٌ " ، وهذا الذي ذكرَه سعْيدُ (ت:٩٤) هو المعنى اللُّغويُّ لهذه اللفظةِ.

قال ابنُ فارسٍ (ت:٣٩٥): " الهمزة والفاء والكاف: أصلٌ واحدٌ يدلُّ على قلبِ الشَّيءِ عن جهتِهِ، يقال: أَفِكَ الشَّيءُ، وأَفِكَ الرجلُ: إذا كذب، والإفكُ: الكذبُ ...".

١ –

٢ –

٣ –

٤ –

٥ –

وبهذا تظهر علاقةُ هذينِ العلمينِ (الوجوه والنظائر، وكليات الألفاظ القرآنية) بالتَّفسيرِ اللُّغويِّ، وأنَّ المفسِّرَ الذي يسلكُ هذا السَّبيلَ لا بُدَّ أنْ يكونَ معتمداً على اللُّغةِ، وإن لم يَنُصَّ على ذلك .[1]

محاضرة ٤: نشأة التفسير اللغوي عند اللغويين

تمهيد

اللغويون: هم المشتغلون بجمعِ ألفاظِ العربِ ومعرفةِ دلالتِها واشتقاقِها وتصريفِها، ومعرفةِ أساليبِها في الخطابِ، والاستدلالِ لذلك بلغةِ العربِ من شعرٍ أو نثرٍ ، برزوا في القرنِ الثَّاني[2] الهجريِّ، وكانَ ظهورُهم إيذاناً ببروزِ هذا التَّخصُّصِ العلميِّ الذي لم يكنْ ينسبُ قبلهم إلى أعلامٍ في جيلِ الصَّحابةِ والتَّابعين ، وقد كانت المشاركة اللغوية في التفسير على قسمين:

١. القسمُ الأولُ: المشاركة غير المباشرة

تَبْرُزُ مشاركةُ اللُّغويينَ غيرُ المباشرةِ في أنماطِ التَّأليفِ اللُّغويِّ التي سلكَها اللُّغويونَ في الكتابةِ اللُّغويَّةِ، وكانتْ كتبُ النَّوادرِ من أقدمِ ما ظهر مِنْ أَنْماطِ التَّأليفِ اللُّغويِّ، وكان أبو عَمْرو بنُ العلاءِ (ت:١٤٥) أوَّلَ مَنْ ذُكِرَ له كتابٌ[4] في (النَّوادرِ)، وقد كانتِ الكتابةُ في هذه الأنماطِ اللُّغويَّةِ على ضَرْبَينِ:[5]

- **الأول: الكتابةُ على أسلوبِ الموضوعاتِ:**

كانت الكتابةُ على أسلوبِ الموضوعاتِ أسبقَ التَّأليفات اللُّغويَّةِ، وأغلبُ ما كُتِبَ كان في موضوعٍ واحدٍ؛ ككتبِ: الفروقِ، والنوادرِ، والأضدادِ، والنباتِ، وخلقِ الإنسانِ، والأنواءِ، ... وغيرِها، وقد ظهر جمع هذه الموضوعات في كتاب واحد عند أبي عبيد (ت:٢٢٤) في كتابه: (الغَرِيبِ المصَنَّفِ)، حيثُ جعلَ لكلِّ موضوعٍ باباً مستقلاً، فتجدُ فيه باباً في خلق الإنسان، وباباً في اللباس، وباباً في الأطعمة، وباباً في الأمراض، وباباً في الخمر .. حيث:

---

١ –

٢ –

٣ –

٤ –

٥ –

١- يظهرُ منْ كتبِ اللُّغةِ التي كُتِبَتْ على نَمَطِ الموضوعاتِ أنَّ التَّفسيرَ لم يكنْ قَصْداً أوَّلِيًّا منْ مقاصدِ اللُّغويِّ في كتابِه.

٢- غالبُ ما جاءَ في التَّفسيرِ كانَ تفسير ألفاظٍ قرآنيَّةٍ مفردةٍ، يَذْكُرُ فيها اللُّغويُّ دلالةَ هذه اللَّفظةِ، ومن ذلك قول أبي العَمَيثَلِ (ت:٢٤٠)، قال: " والجُؤَارُ . مهموز .: صوتٌ في تَضَرُّعٍ، ومنه قوله تعالى: {فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} [النحل: ٥٣] ".

وقال أبو مِسْحَل: " وتحيَّفَ مالَه وتَحَوَّفَهُ، وتَخَوَّفَتُ مالَه، وقال الله عزّ وجل: {أَوْ يَاخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ} [النحل: ٤٧]، وهو النقص".

٣- غالباً ما يذكرُ اللُّغويُّ معنى اللَّفظةِ في لغةِ العربِ، ثمَّ يذكرُ الآيةَ التي وردَ فيها هذا اللَّفظُ، فيفسِّر لفظَ الآيةِ به، ومن ذلك ما ذكره قُطْرُبَ (ت:٢٠٦): "وقالوا . إذا دَنَا وِلادُهَا .: بَخَضَتْ بَخَاضاً، ومَخَضَتْ: لغةٌ، وهو قول الله عزّ وجل: {فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَخْلَةِ} [مريم: ٢٣]" .[١]

٤- كما أنَّ هذه الكتبَ لا تذكرُ . في الغالبِ . إلاَّ الألفاظَ المناسبةَ لموضوعِ الكتابِ، وقَلَّ أنْ تذكرَ ألفاظاً لا علاقةَ لها بموضوعِ الكتابِ، ومن ذلك ما ورد في كتابِ (الإبدال) لابن السِّكِّيت (ت:٢٤٤)، قال: "... ما يَنُوصُ لحاجةٍ، وما يقدر على أن يَنُوصَ؛ أي: يتحرَّك لشيءٍ، ومنه قوله تعالى: {وَلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ} [ص: ٣]، ومعنى وَلاَتَ: ليس، ومَنَاصٍ، مثل: مَنَاض ".

ففي هذا المثالِ تجدُ ابن السِّكِّيتِ (ت:٢٤٤) يُوردُ الإبدالَ في الضَّادِ والصَّادِ في مَنَاصٍ ومَنَاض، ثمَّ ذكر الآية، ثمَّ استطرد في معنى (وَلاَت).

٥ - وقدْ تخلو بعضُ الرَّسائلِ اللُّغويَّةِ منْ ذكرِ ألفاظٍ قرآنيَّةٍ مفسَّرةٍ، وذلك لأسباب؛ منها:

- أن لا يوجدَ لموضوعِ الكتابِ ما يناسبُه منْ ألفاظٍ قرآنيَّةٍ.
- أو لعدمِ حضورِها في ذهنِ المؤلِّفِ، أو لغيرِها من الأسبابِ

ومنه فإنَّ كتبَ الموضوعاتِ لا تكادُ تخرجُ عنْ بيانِ مدلولِ اللَّفظِ في اللُّغةِ، ومن الأمثلةِ الواردةِ في بعضِ الكتبِ ما يلي :[٢]

---

١ -

٢ -

في كتاب (ما تلحن فيه العامَّة) المنسوب للكِسَائي (ت:١٨٣)، قال: " تقول: عندي وِقْرُ حطبٍ، ووِقْرُ حنطةٍ، وكلُّ ما يحملُ فهو وِقْرٌ . بكسر الواو . قال تعالى: {فَالْحَامِلاَتِ وِقْرًا} [الذاريات: ٢].

وتقولُ: في أُذُنيه وَقْرٌ . بفتح الواو . وهو رجلٌ موقورٌ: إذا كان به صَمَمٌ، وقال الله تعالى: {وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ} [فصلت: ٥]" .[١]

وفي كتاب (الأمثال) لمؤَرِّجٍ (ت:١٩٥)، قال: "المُبْسَلُ: المسْلَمُ، قال الله عزّ وجل: {أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا} [الأنعام: ٧٠]" .[٢]

وفي كتاب (الغريب المصنف)لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت:٢٢٤)، قال: "والكوثرُ: الشيءُ الكثيرُ، ومنه قول الله جلَّ ذكره: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} [الكوثر: ١] .[٣]

- **الثاني: الكتابةُ على الحروفِ:**

كانت الكتابةُ على الحروفِ تَهْدِفُ إلى استيعابِ ألفاظِ العربِ، وكانت البدايةُ فيها بكتابِ العينِ المنسوبِ للخَلِيلِ بن أحمد (ت:١٧٥)، ثمَّ تَلَتْهُ الكتبُ الأخرى، ومنها: كتاب الجِيمِ، لأبي عَمْرو الشَّيبانِيِّ (ت:٢٢٠ تقريباً) ، وكتابِ البارعِ في اللُّغةِ، للْمُفَضَّلِ بنِ سَلَمَةَ (ت:٢٩٠)، وكتابِ جمهرةِ اللغةِ، لابن دُرَيدٍ (ت:٣٢١) ... إلخ .[٤]

ويُعدُّ كتابُ العينِ أوَّلَ معجمٍ عربيٍّ سارَ في ترتيبه على الحروف، وسنجعله مثالاً لهذه الكتبِ؛ لأنها . في الغالبِ . تسيرُ على منوالٍ واحدٍ.

ولما كانَ مقصدُ التَّأليفِ على هذه الطريقةِ محاولةُ الإحاطةِ بلغةِ العربِ؛ فإنَّ المؤلِّفَ يذكرُ ألفاظاً قرآنيَّةً ويقومُ بتفسيرِها.

ومن الملاحظِ أنَّ اللُّغويَّ في هذه الكتبِ قد يوردُ اللفظَ القرآنيَّ دونَ ذكرِ الآيةِ التي وردَ فيها؛ مثل تفسيرِ العِهْنِ في كتاب العين: " والعِهْنُ: المصبوغُ ألواناً من الصُّوفِ، ويقال: كلَّ صوفٍ: عهنٌ، والقطعة؛ عِهنَةٌ، والجمعُ: عُهُونٍ " .[٥]

[٦]

والعهنُ واردٌ في قوله تعالى: {وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ} [المعارج: ٩]، وقوله تعالى: {وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ} [القارعة: ٥]، ولم يذكر شيئاً من هذين الموضعينِ.

ومثال ذلك في كتابِ العينِ، ما يلي:

١ – قال: " والمُعْصِرَاتُ: سحاباتٌ تمطرُ، قال الله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا} [النبأ: ١٤] ، وأُعْصِرَ القومُ: أُمطِرُوا، قال الله عزّ وجل: (وفيه يُعْصَرُون) [يوسف: ٤٩]، ويقرأ {يُعْصِرُونَ}: من عصيرِ العنب.

قال أبو سعيدٍ: يستغلونَ أَرَضِيهِم؛ لأنَّ الله يُغْنِيهم، فتجيءُ عصارةُ أَرَضيهم؛ أي: غلَّتها؛ لأنك إذا زرعتَ اعتصرَت من زرعِك ما رزقَك اللهُ، والإعصارُ: الرِّيحُ التي تُثِيرُ السَّحَابَ، عَصَرَت الرِّياحُ، فهي مُعْصِراتٌ؛ أي: مثيراتٌ للسَّحابِ، والإعصارُ: الغبارُ الذي يستديرُ ويسطعُ، وغبارُ العجاجةِ إعصارٌ أيضاً، قال الله عزّ وجل: {فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ} [البقرة: ٢٦٦]، يعني: العجاجة".

٢ – وقال: " نَسِيَ فلانٌ شيئاً كان يذكره، وإنه لنَسِيٌّ؛ أي؛ كثيرُ النسيانِ، من قولِ اللهِ جلَّ وعزَّ: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا} [مريم: ٦٤]، والنِّسْيُ: الشيءُ المنسي الذي لا يذكرُ، يقال: منه قوله تعالى: {وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا} [مريم: ٢٣]. ويقال: هو خِرقَةُ الحائضِ إذا رمت به، ونسيتُ الحديثَ نسياناً، ويقال: أَنْسَيْتُ إنساءً، ونَسِيتُ أَجْوَدُ، قال الله تعالى: {فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ} [الكهف: ٦٣] ولم يقل: أنسيت، ومعنى أنسيت: أخرت" .[٢]

٢. القسمُ الثاني: المشاركة المباشرة في تفسير القرآن

برزت مشاركة اللغويين المباشرةَ في التَّفسيرِ منْ خلالِ عِلمين: علم غريبِ القرآن، وعلمِ معاني القرآن وكُتبِ اللُّغويِّينَ في هذينِ العِلْمَيْنِ كثيرة منها:

١ – غريبُ القرآنِ، لأبانَ بنِ تغلبٍ الجَرِيرِيِّ، القارئ، النَّحويِّ، اللُّغويِّ (ت:١٤١).

٢ – معاني القرآنِ، لمحمدِ بنِ الحسنِ الرُّؤاسِيِّ، الكوفيِّ، المقرئ، النَّحويِّ، اللُّغويِّ (ت:١٧٠) .[٣]

٣ – معاني القرآنِ، ليونسَ بنِ حبيبٍ، البصريِّ، النَّحويِّ (ت:١٨٢) .[٤]

---

١ –

٢ –

٣ –

٤ –

٤ – معاني القرآنِ، لعلي بنِ حمزةَ الكسائيِّ، الكوفيِّ، النَّحويِّ، اللُّغويِّ، أحدِ القرَّاءِ السَّبعةِ (ت:١٨٣ وقيل غيرها) .

٥ – غريبُ القرآنِ، لِمُؤَرِّجِ بْنِ عَمْرٍو السَّدوسيِّ، البصريِّ، النَّحويِّ، اللُّغويِّ (ت:١٩٥) . [٢]

٦ – غريبُ القرآنِ، لأبي محمدٍ يحيى بنِ المباركِ اليزيديِّ، البصريِّ، اللُّغويِّ (ت:٢٠٢) . [٣]

٧ – غريبُ القرآنِ، للنَّضْرِ بْنِ شُمَيْلٍ، البصريِّ، اللُّغويِّ (ت:٢٠٣) . [٤]

محاضرة ٥: طريقة التفسير اللغوي في كتبهم

سلك اللغويون في هذه الكتبِ مسلك السَّلفِ في التَّفسيرِ اللُّغويِّ، فظهرَ عندهم التَّفسيرَ على المعنى، وعلمَ الوجوهِ، وأسلوبَ التَّفسيرِ اللَّفظيِّ، غيرَ أنَّ هذا الأخيرَ هو الغالبُ على التَّفسيرِ اللُّغويِّ عندَ اللُّغويِّين، والأولانِ لا يشكِّلانِ شيئاً كثيراً عندهم، وقبلَ ذكر الأمثلةَ على ذلك، نذكر ما نجدُه زائداً عن السَّلفِ من البحوث في مسائل العربيَّةِ في التَّفسيرِ عند اللُّغويِّين.

أولاً: كثرةُ مباحثِ الصَّرفِ والاشتقاقِ:

برزتْ هذه المباحثُ بكثرةٍ عند الفرَّاءِ (ت:٢٠٧) والأخفشِ (ت:٢١٥)، وغالبُ هذه المباحثِ لا أثرَ لها على التَّفسيرِ؛ أي: لا يتوقَّفُ عليها البيانُ، وإنّما لما كانَ النَّظرُ اللُّغويُّ عند هؤلاءِ اللُّغويِّين هو المقصدَ في التَّفسيرِ توسَّعُوا في ذكرِ هذه المباحثِ اللُّغويَّةِ، ويلاحظُ أنَّ هذه المباحثَ الصرفيَّةَ والاشتقاقيَّةَ في كتبِ المعاني، دون كتبِ الغريبِ، ومنَ الأمثلةِ في كتبِ المعاني:

قال الأخفشُ (ت:٢١٥): "وقال: {وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ} [البقرة: ٢٢٢]؛ لأنك تقول: طَهَرَتْ المرأةُ، فهي تَطْهُرُ، وقال بعضهم: طَهُرَتْ.

وقالوا: طَلَقَتْ تَطْلُقُ، وطَلُقَتْ تَطْلُقُ أيضاً، ويقال للنفساءِ إذا أصابها النفاس: نُفِسَتْ، فإذا أصابها الطَّلْقُ: طُلِقَتْ.

---

١ –

٢ –

٣ –

٤ –

وقال: {لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ} [البقرة: ٢٢٥] تقول: لَغَوتُ في اليمين، فأنا أَلْغُو لَغْواً، ومن قال: هو يَمْحَى؛ قال: هو يَلْغَى لَغْواً ومَحْواً، وقد سمعنا ذلك من العرب، وتقول لَغِيتُ باسمِ فلانٍ، فأنا أَلْغَا به لَغاً؛ أي: أذكُرُهُ" [١].

قال الفراء (ت:٢٠٧) في قوله تعالى: {لاَ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ} [البقرة: ٦٨]: " والعوان ليست بنعتٍ للبِكر؛ لأنها ليست بِهَرِمَةٍ ولا شابَّةٍ، انقطع الكلام ثمَّ استأنف، فقال: {عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ} والعوانُ يقال منه: قد عَوَّنت، والفارض: قد فَرَضت، وبعضهم: قد فَرُضت.

وأما البِكْرُ فلم نسمع فيها بفعلٍ، والبِكْرُ بكَسرِ أوَّلها إذا كانت بِكْراً من النساءِ، والبَكْرُ ـ مفتوحٌ أوَّلُهُ ـ من بِكَارَةِ الإبل" [٢].

ثانياً: كثرة المباحث النحوية:

كان النَّحوُ وَعِلَلُهُ بارزاً في كتب المعاني، وقد كان أحدَ مقاصدِ التأليفِ في كتب المعاني دون كتب الغريب، وهذا مما لا تجده عند السلف، ومن الأمثلة على ذلك:

قال الفرَّاء (ت:٢٠٧) " وقوله: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً} [الأنفال: ٥٨] يقول: نقضَ عهدٍ. {فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ} بالنقض {عَلَى سَوَاءٍ} يقول: افعل كما يفعلون سواءً، ويقال في قوله: {عَلَى سَوَاءٍ}: جَهْراً غيرَ سِرٍّ.

وقال الأخفش (ت:٢١٥) ـ في قوله تعالى: {وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ} [القلم: ٥١]: " وهذه إِنْ التي تكونُ للإيجابِ وهي في معنى الثقيلةِ، إلاَّ أنَّها ليست بثقيلةٍ؛ لأنَّكَ إذا قلتَ: إِنْ كان عبدُ اللهِ لظريفاً، فمعناه: إنَّ عبدَ اللهِ لَظَرِيفٌ قبلَ اليومِ، فـ (إنْ) تدخل في هذا المعنى، وهي خفيفةٌ " [٣].

والأمثلة كثيرةٌ جداً في معاني القرآنِ للفرَّاءِ (ت:٢٠٧) والأخفش (ت:٢١٥) ـ توضِّحُ صورةَ المسائلِ النَّحويةِ التي طَرَقَهَا اللُّغويُّون في كتبِ المعاني، ويلاحظُ أنَّ أغلبَ هذه المسائلِ لا أثرَ فيه على التَّفسيرِ، بل هي بكتب النَّحْوِ ألصقُ.

ثالثاً: كثرةُ الاستشهادِ منْ لغةِ العربِ:

لقدْ كانَ الشَّاهدُ العربيُّ عند اللُّغويِّين ذا قيمةٍ كبيرةٍ، ويلاحظُ هاهنا أمرانِ:

---

١ ـ

٢ ـ

٣ ـ

الأولُ: أنَّ الشَّواهدَ للمسائلِ النَّحويَّةِ والصَّرفيَّةِ والاشتقاقيَّةِ أكثرُ من الشَّواهدِ اللُّغويَّةِ في كتبِ معاني القرآنِ .

الثاني: أنَّ كتبَ الغريبِ يكثر فيها الاستشهادُ اللُّغويُّ، وهي أكثرُ من شواهدِ كتبِ المعاني في هذا البابِ.

ومنَ الأمثلةِ على هذه الشَّواهدِ في كتبِ اللُّغويِّين ما يلي:

١- قال الفراءُ (ت:٢٠٧): "وقولُهُ: {لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا} [الفرقان: ٢١]: لا يخافون لقاءنا، وهي لغةٌ تِهاميَّةٌ، يَضَعُونَ الرَّجاءَ في موضعِ الخوفِ إذا كان معه جحدٌ، ومن ذلك قول الله: {مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا} [نوح: ١٣]؛ أي: لا تخافون له عظمةً، وأنشدني بعضهم :[٢]

لا تَرْتَجِي حين تُلاقِي الذَّائِدا *** أَسَبْعَةً لاقتْ مَعاً أَمْ واحِدا

يريد: لا تخاف ولا تبالي.

٢- وقال أبو عبيدة (ت:٢١٠) . في قوله تعالى: {لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلاَ شَرَابًا} [النبأ: ٢٤]: " نوماً ولا شراباً، وقال الكندي :[٣]

.. فَصَدَّني ... *** عنها وعن قُبْلَتِها . البَرْدُ

أي: النُّعاس".

رابعاً: بيانُ الأساليبِ العربيَّةِ الواردةِ في القرآنِ:

اعتنى اللُّغويُّونَ ببيانِ الأساليبِ العربيَّةِ الواردةِ في القرآنِ: من حذفٍ واختصارٍ، وذكرٍ للسَّببِ وتركِ المسببِ، وعكسِه، وذكرٍ للواحدِ بلفظِ الجمعِ، وعكسِه، وذكرٍ للإجابة على خاصٍّ بلفظِ العامِّ، وعكسِه، وغيرِها.

وقد كان لاهتمامهم هذا أسبابٌ؛ كالنَّصِّ على عربيَّة القرآن؛ كما عند أبي عبيدة (ت:٢١٠) في مجاز القرآن، والردِّ على الطَّاعنين فيه؛ كما عند ابن قتيبة (ت:٢٧٦) في تأويل مشكل القرآن.

ومن الأمثلة الواردة في كتبهم:

١ -

٢ -

٣ -

١ – قال الفراء (ت:٢٠٧) . في قوله تعالى: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا} [الزمر: ٩]: " فإن قال قائلٌ: فأين جواب (أَمَّنْ هُوَ) فقد تبيّن في الكلام أنّه مضمر، قد جرى معناه في أوّل الكلمة، إذ ذكر الضالَّ، ثمَّ ذكر المهتدي بالاستفهام، فهو دليل على أنّه يريد: أهذا مثل هذا، أو هذا أفضل أم هذا، ومن لم يعرف مذاهب العرب ويتبين له المعنى في هذا وشبهه لم يكتفِ ولم يشتفِ، ألا ترى قول الشاعر: [١]

فَأُقْسِمُ لَوْ شَيءٌ أَتَانَا رَسُولُهُ *** سِوَاكَ، وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعا

أنَّ معناه: لو أتانا رسولُ غيرك لدفعناه، فَعُلِمَ المعنى ولم يُظْهِرْ، وجَرَى قوله: {أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ} [الزمر: ٢٢] على مثلِ هذا" . [٢]

٢ – وقال أبو عبيدة (ت:٢١٠) في قوله تعالى: {فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ} [البقرة: ١٩٦]: " العربُ تؤكِّدُ الشيءَ وقد فُرِغَ منه، فتقيدُهُ بلفظِ غيرِه تفهيماً وتوكيداً" . [٣]

وبعد، فهذه أظهرُ الموضوعات التي أبدعَها اللُّغويُّون في التَّفسيرِ زيادةً عن الَّذي جاءَ عنِ السَّلفِ رضي الله عنهم، أمَّا ما وردَ عن السَّلفِ من موضوعاتِ التفسيرِ اللُّغويِّ فهي متفاوتةٌ عند اللُّغويين، وهي كالآتي.

أوَّلاً: التَّفسيرُ على المعنى عند اللُّغويِّين:

أمَّا التَّفسيرُ على المعنى، فكان قليلاً عند اللُّغويِّينَ، وإنْ كانَ لا يمكنُ أنْ ينفكَّ عنه المفسِّرُ، ومن ذلكَ تفسيرُ أبي عُبَيدَةَ (ت:٢١٠) قولَ الله تعالى: {هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ} [الأعراف: ٢٠٢]، قال: "هذا القرآنُ ما يُتْلَى عليكم، فلذلك ذَكَّره، والعربُ تفعلُ ذلكَ، قال:

قَبَائلُنا سبعٌ وأنتم ثلاثةٌ *** ولَلسَّبعُ أَزْكَى من ثَلاثٍ وأكثرُ

ذَكَّرَ (ثلاثة) ذهبَ به إلى (بطنٍ)، ثُمَّ أَنَّثَهُ لأنَّه ذهبَ به إلى (قبيلة)

ومجاز بصائر؛ أي: حُجَجٌ وبيانٌ وبرهانٌ" ، فأبو عبيدة (ت:٢١٠) في هذا المثالِ تراه فسَّرَ المراد بالبصائرِ في الآيةِ، وهذا هو التَّفسيرُ على المعنى، ثمَّ ذكرَ وجهَ التَّذكيرِ فيه، ثمَّ ذكرَ التَّفسيرَ اللَّفظيَّ لبصائر.

ثانياً: علم الوجوه والنَّظائر عند اللُّغويِّين:

---

١ –

٢ –

٣ –

٤ –

أمَّا علمُ الوجوهِ والنَّظائرِ، فلا يوجد لأحدٍ من أهلِ اللُّغةِ كتاباً خاصًّا فيه، وقد خصَّ ابن قتيبة (ت:٢٧٦) هذا العلمَ بمبحثٍ من كتابه: تأويل مشكل القرآن تحتَ بابٍ بعنوانِ: (اللَّفظُ الواحدُ للمعاني المختلفةِ)، ومن الأمثلةِ التي ذكرها في ذلك:

قال: " الحَرَجُ: أصلُه الضِّيقُ ، ومن الضِّيقِ: الشَّكُّ؛ كقول الله تعالى: {فَلاَ يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ} [الأعراف: ٢]؛ أي: شكٌّ؛ لأنَّ الشَّاكَّ في الشَّيءِ يضيقُ صدراً به.

ومنَ الحرجِ الإثمُ، قال تعالى: {لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ} [النور: ٦١]؛ أي: إثمٌ، {وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ} [التوبة: ٩١]؛ أي: إثمٌ.

وأمَّا الضِّيقُ بعينِه، فقوله: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [الحج: ٧٨]؛ أي: ضيقٍ، و{يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا} [الأنعام: ١٢٥]، (وحَرِجًا)، ومنه الحَرَجَةُ، وهي: الشَّجرُ الملْتَفُّ" .[٣]

أمَّا كتابُ المبرد (ت:٢٨٥): (ما اتفقَ لفظُه: واختلفَ معناه من القرآنِ المجيدِ)، فإنَّ عنوانَه يوحي بعلاقتِه بعلمِ الوجوه والنَّظائرِ، إلا أنَّه لم يقتصرْ فيه على هذا العلمِ، بل حَوَى ـ مع صِغَرِ حجمِهِ ـ موضوعات أخرى؛ كالحذفِ، والاختصارِ، والتَّحويلِ في القرآنِ وكلامِ العربِ، ومما ذكره في هذا الموضوع، قوله: "فمما اتفقَ لفظهُ واختلفَ معناه، قوله تعالى: {إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ} [البقرة: ٧٨]، هذا لِمَنْ شكَّ، ثُمَّ قالَ: {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاَقُو رَبِّهِمْ} [البقرة: ٤٦]، فهذا يقين؛ لأنَّهم لو لم يكونوا مُستيقنينَ، لكانوا ضُلاَّلاً شُكَّاكاً في توحيد الله تعالى.

ومثلُه في اليقينِ قولُ المؤمنِ: {إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيَهْ} [الحاقة: ٢٠]؛ أي: أيقنتُ. ومثلُه قوله تعالى: {فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا} [الكهف: ٥٣]؛ أي: أيقنوا ..." .[٤]

والمنثورُ من هذا العلمِ في كتبِ اللُّغويِّينَ ليسَ كثيراً إذا ما قِيسَ بما كتبَهُ أتباعُ التَّابعينَ، وقد كان أكثرُ اللُّغويِّينَ اهتماماً به ـ بعد ابن قتيبة (ت:٢٧٦) ـ ابنُ عُزَيزٍ السِّجِسْتَانِيُّ (ت:٣٣٠) في كتابِه: غريبِ القرآنِ[٥] .[٦]

ثالثاً: أسلوبُ التَّفسير اللَّفظيِّ عند اللُّغويِّين: وهو ما سنتعرف فيما هو آت

ـ ١

ـ ٢

ـ ٣

ـ ٤

ـ ٥

ـ ٦

محاضرة ٦: أسلوب التفسير اللفظي عند اللغوين

أسلوبُ التَّفسير اللَّفظيِّ عند اللُّغويِّين:

وأمَّا أسلوبُ التفسيرِ اللَّفظيِّ، فإنّه بارزٌ بروزاً لا يخفى على منْ يقرأُ في كتبِ اللُّغويِّينَ، بل كانَ هذا منْ أصولِ بحثهم في القرآنِ، وقد كانتْ طريقةُ إيرادِهم له كطريقةِ السَّلفِ، وإليك بيانُ ذلك بالأمثلةِ:

الأول: أنْ يُفسِّروا اللَّفظَ، دونَ أنْ يستشهدوا لهذا التَّفسيرِ:

منْ خلالِ ما كتبَهُ اللُّغويُّونَ في هذا، فإنَّه يظهرُ أنّه كانَ الأغلبَ على تفسيرِهم اللُّغويِّ، حيث كانوا يُورِدُونَ معنى اللَّفظِ دونَ ذِكْرِ الشَّواهدِ على ذلك، وقد كان هذا الأسلوبُ غالباً على كتبِ غريبِ القرآنِ، ومن أمثلةِ ذلك في كتبِ اللُّغويِّينَ:

١ – في قوله تعالى: {وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا} [الكهف: ٨]، قال الفرَّاءُ (ت:٢٠٧): " وقوله: (صَعِيدًا)؛ الصَّعيدُ: التُّرابُ. والجُرُزُ: أنْ تكونَ الأرضُ لا نباتَ فيها، يقال: جُرِزَتِ الأرضُ، وهي مَجْرُوزَةٌ، وجَرَزَهَا الجرادُ أو الشَّاءُ أو الإبلُ، فَأَكَلْنَ ما عليها" .[١]

٢ – وفي تفسير لفظِ المهادِ من قوله تعالى: {وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ} [البقرة: ٢٠٦]، قال أبو عبيدةَ (ت:٢١٠): (الفراش) .[٢]

٣ – وفي تفسير لفظِ يؤوده، قال الأخفشُ (ت:٢١٥): " وقال: {وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا} [البقرة: ٢٥٥]؛ لأنّه من آدهُ يؤودُه أوْداً، وتفسيرُه: لا يُثْقِلُهُ " .[٣]

٤ – وفي تفسيرِ لفظِ الغشاوةِ، من قوله تعالى: {وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ} [البقرة: ٧]، قال ابنُ قتيبةَ (ت:٢٧٦): "والغِشاوةُ: الغِطاءُ. ومنه يقال: غَشِّهِ بثوبٍ؛ أي: غَطِّهِ، ومنه قيل: غاشيةُ السِّراجِ؛ لأنها غطاءٌ له، ومثلُه قولُه: {لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ} [الأعراف: ٤١]" .[٤]

الثاني: أنْ يستشهدوا لتفسيرِهم:

قد مضى أمثلةٌ لاستشهادِ اللُّغويِّينَ بأشعارِ العربِ، أمَّا استشهادُهم بالنَّثْرِ، فكانَ على قسمين:

---

١ –

٢ –

٣ –

٤ –

الأوَّلُ: أن ينصُّوا على أنَّ ذلكَ لغةُ العربِ، وغالباً ما تكونُ عبارتُهم: تقولُ العربُ، وهذا قولُ العربِ، ثُمَّ يذكرونَ شيئاً من نَثْرِها، ومنْ ذلكَ:

١- قال الفرَّاءُ (ت:٢٠٧) في تفسيرِ لفظِ مثبوراً: "وقولُه: {يا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا} [الإسراء: ١٠٢]: ممنوعاً من الخيرِ. والعربُ تقولُ: ما ثَبَرَكَ عن ذا؟ أي: ما منعَك عنه وصرفَك عنه" .[1]

٢- وفي تفسيرِ لفظِ ظهريًّا من قوله تعالى: {وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا} [هود: ٩٢]، قال ابن[2]قتيبة (ت:٢٧٦): " أي: لم تلتفتوا إلى ما جئتكم به عنه، تقولُ العربُ: جعلتني ظِهريًّا، وجعلتَ حاجتي منك بظهرٍ: إذا أعرضتَ عنه وعن حاجته " .[3]

الثاني: أن ينصُّوا على لغة القبيلة التي نزل بها القرآن، وهذا من أقلِّ ما ورد عنهم في التَّفسيرِ اللُّغويِّ، ومن الأمثلة على ذلك:

١- قال الفرَّاءُ (ت:٢٠٧): " وقوله: {أَوَّاهٌ} [هود: ٧٥] دعَّاءٌ، ويقالُ: هو الذي يتأوَّهُ من الذُّنوبِ، فإذا كانت مِن: يتأوَّهُ من الذُّنوبِ، فهي من: أوِّهْ له، وهي لغةُ بني عَامِرٍ .. " .[4]

٢- وفي تفسيرِ قوله تعالى: {فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ} [الأنفال: ٥٧]، قال ابن قتيبة (ت:٢٧٦): " أي: افعلْ بهم فعلاً منَ العقوبةِ والتنكيلِ يتفرقُ به من وراءهم من أعدائك، ويقالُ: شرِّدْ بهم: سَمِّعْ بهم، لغةُ قريشٍ ..." ، وأخيراً، فإنّ غالب اللُّغويِّين والمفسِّرين الذين جاؤوا بعد هؤلاءِ لم يضيفوا جديداً على الأسلوبِ التَّفسيريِّ اللُّغويِّ، بل اعتمدوا ما ورد عن أعلامِ المفسِّرين واللُّغويِّينَ في هذه الفترةِ، وإن كانَ ثمَّت زيادةٌ، فإنّها في الأوجه التَّفسيريَّةِ للمفرداتِ أو الأساليبِ .[6]

---

١ -
٢ -
٣ -
٤ -
٥ -
٦ -

محاضرة ٧: مسائل في نشأة التفسير اللغوي

المسألة الأولى: في سَبْقِ السلفِ في علمِ التَّفسيرِ.

المسألة الثانية: شمولُ التَّفسيرِ بين السَّلفِ واللُّغويِّين.

المسألة الثالثة: في الاعتمادِ على اللُّغةِ.

المسألة الرابعة: في الشَّاهِدِ الشِّعريِّ.

المسألة الخامسة: في علمِ الوجوهِ والنَّظائرِ.

المسألة السادسة: التَّفسيرُ اللُّغويُّ بين البصرةِ والكوفةِ.

المسألة الأولى: في سَبْقِ السَّلفِ في علمِ التَّفسيرِ

كان علم التَّفسير علماً مستقلًّا قائماً بذاته منذ عهد الصَّحابة رضي الله عنهم، وكان لهذا العِلْمِ أعلامُه البارزون؛ كعبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ الهُذَلِيِّ (ت:٣٥)، وعبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ (ت:٦٨).

ثمَّ حمله من بعدِهم جَمْعٌ من أعلامِ جيلِ التَّابعين؛ كأبي العالية الرِّيَاحِيِّ (ت:٩٣)، وسعيدِ بنِ جبيرٍ (ت:٩٤)، وعامرٍ الشَّعبيِّ (ت:١٠٣)، ومجاهدِ بنِ جبرٍ (ت:١٠٤)، والضَّحَّاكِ بنِ مزاحمٍ (ت:١٠٥)، وعكرمةَ (ت:١٠٥)، والحسنِ البَصْرِيِّ (ت:١١٠)، وقتادةَ بنِ دِعَامَةَ السَّدُوسِيِّ (ت:١١٧)، ومحمدِ بنِ كعبٍ القُرَظِيِّ (ت:١٢٠) (١) ، وزيدِ بنِ أَسْلَمَ (ت:١٣٦) (٢) ، وغيرِهم. وكان مفسِّرو[٢] التَّابعينَ أكثرَ طبقاتِ السَّلفِ مشاركةً في التَّفسيرِ.

ثمَّ حملَه في جيلِ أتباعِ التَّابعين أمثالُ: إسماعيلَ بنِ عبدِ الرَّحمنِ السُّدِّيِّ (ت:١٢٨)،[٣]والرَّبيعِ بنِ أنسٍ البكريِّ (ت:١٣٩)، ومحمدِ بنِ السَّائبِ الكَلْبِيِّ (ت:١٤٦)، ومقاتلِ بن حيَّانٍ البلخيِّ (ت:١٥٠)، ومقاتلِ بنِ سليمانَ البَلْخِيِّ (ت:١٥٠)، وعبدِ الملكِ بنِ جُرَيجٍ المكِّيِّ (ت:١٥٠)، وسُفيانَ بنِ سعيدٍ الثَّوريِّ (ت:١٦١)، وعبدِ الرَّحمنِ بنِ زيدِ المدنِيِّ (ت:١٨٢)، ويحيى بنِ سلامٍ البصريِّ (ت:٢٠٠)، وغيرِهم.

هذا، وقد برزتْ كتابةُ التَّفسيرِ وتدوينُهُ في عهدِ التَّابعينِ وأتباعِهم، وكانَ لهم في ذلك صحائفُ وكتبٌ، مع ما كانَ لبعضِهم منْ رواياتٍ شفويةٍ، وممَّنْ كتبَ التَّفسير، أو أملاه على تلاميذِه:

---

١ –

٢ –

٣ –

١ – سعيدُ بنُ جبيرٍ (ت:٩٤) الذي كتبَ جملةً منَ التَّفسيرِ لعبدِ الملكِ بنِ مروانَ (ت:٨٦) . [١]

٢ – ومجاهد بنُ جبرٍ (ت:١٠٤) الذي كتبَ تفسير شيخِه عبد الله بنِ عباسٍ (ت:٦٨) . [٢]

٣ – وأملى الحسنُ البصريُّ (ت:١١٠) التَّفسيرَ على تلاميذِهِ . [٣]

٤ – وكتبَ عليُّ بنُ أبي طلحةَ الوَالِبِيُّ (ت:١٤٣) صحيفتَهُ المشهورةَ الَّتي فيها تفسيرُ عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ (ت:٦٨).

٥ – وكتبَ سعيدُ بنُ أبي عَرُوبَةَ (ت:١٥٦) تفسيرَ قتادةَ بنِ دِعَامَةَ السَّدُوسِيِّ (ت:١١٧).

٦ – وألَّفَ عبدُ الملكِ بنُ جُرَيجٍ المكيُّ (ت:١٥٠) كتاباً في التَّفسيرِ، وهناك غيرهم كثيرٌ . [٦]

وفي عهد أتباعِ التابعينَ ظهرَ اللُّغويُّونَ الذين شاركوا في التَّفسيرِ من خلالِ الكتابة في علمي: معاني القرآنِ وغريبِ القرآن؛ كأبانَ بنِ تغلبٍ الجريريِّ (ت:١٤١)، وعلي بنِ حمزةَ الكسائيِّ (ت:١٨٣)، ويحيى بنِ زيادٍ الفرَّاءِ (ت:٢٠٧)، وأبي عبيدةَ مَعْمَرِ بنِ المثَنَى (ت:٢١٠)، وغيرِهم.

وينتجُ عن ذلكَ:

- ✓ أنَّ السَّلفَ قد سبقوا اللُّغويِّينَ في التَّفسيرِ تعلُّماً، وتعليماً، وتدويناً.
- ✓ ومنْ ثَمَّ، فإنَّ السَّلفَ قد سبقوا اللُّغويينَ . أيضاً . في التَّفسيرِ اللُّغويِّ؛ لأن التَّفسيرَ اللُّغويَّ جزءٌ من علمِ التَّفسيرِ، لا يمكنُ أنْ ينفكَّ عنه.
- ✓ أنَّ كُتب السَّلفِ ورواياتِهم في التَّفسيرِ كانت متيسِّرَةً للُّغويِّينَ الذينَ دوَّنوا اللُّغةَ (١)، وكانَ من المتوقَّعِ أنْ يستفيدوا منها في تدوينِ ألفاظِ اللُّغةِ وثبوتِها . [٧]

١ –
٢ –
٣ –
٤ –
٥ –
٦ –
٧ –

المسألة الثانية: شمولُ التَّفسيرِ بين السَّلفِ واللُّغويِّين

لقد كان تفسيرُ السَّلفِ شاملاً للقرآنِ ، كما أنَّه يشملُ كلَّ ما يتعلَّقُ ببيانِ القرآنِ من تفسيرِ القرآن بقرآنٍ، أو بسُنَّةٍ، أو بلغةٍ، أو بسببِ نزولٍ، أو ببيانِ حُكْمٍ، أو غيرِها من أنواعِ البيانِ التي تدخلُ في مصطلحِ التَّفسيرِ. والمقصودُ أنَّ السَّلفَ لم يقتصروا فيه على نوعٍ واحدٍ من البيانِ، بل اشتملَ بيانُهم للقرآنِ على جملةِ مصادرِ التَّفسيرِ.

أمَّا اللُّغويُّونَ، فغلبَ التَّفسيرُ اللُّغَويُّ على مشاركتِهم في التَّفسيرِ، ولعلَّ سببَ ذلك أنَّ أصلَ بحثِ اللُّغويِّين كانَ في اللُّغةِ؛ لذا كان النَّظرُ اللُّغويُّ أسبقَ إلى ذهنِ اللُّغويِّين عند تفسيرِهم القرآنَ، أمَّا السَّلفُ، فكانَ أصل بحثِهم بيان القرآنِ؛ لذا كانَ يكثرُ في تفسيرِهم بيانُ المعنى المرادِ، وكان التَّفسيرُ على المعنى سِمَةً بارزةً في تفسيرِ السلف.

ولقد أوقع سبقُ النَّظرِ اللُّغويِّ بعضَ اللُّغويِّين في ذِكْرِ أقوالٍ تعتمدُ على معنى قليلٍ أو شاذٍّ أو مشكوكٍ في صِحَّته. ومن أمثلة ذلك:

١ – قال قطربُ: (ت:٢٠٦) . في تفسير قوله تعالى: {وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ} [النساء: ٣٤] "سمعْنا العربَ تقولُ: أَهْجَرَ النَّاقَةَ بالهِجَارِ، وهو حَبْلٌ يُجْعَلُ في أنفِها تُعْطَفُ به على ولدِ غيرِها . وقال أبو محمد : الهجر: حبلٌ يوضع في الرُّسْغِ إلى السَّاقِ .، فإنْ كانَ قوله: {وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ} [النساء: ٣٤]؛ أي: اعطفُوهنَّ إليكم، فهو ضدٌّ للهجرِ، إلاَّ أنَّ ابنَ عباسٍ كانَ يقولُ: الهَجْرُ: السَّبُّ، اهجروهن: سُبُّوهُنَّ".

إنَّ هذا المعنى الذي حَمَلَ قطرب (ت:٢٠٦) معنى الآيةِ عليه معنىً غيرُ مُسْتَعْمَلٍ في النَّاسِ ولا مشهور في اللُّغةِ؛ لأنه إنما يُطلقُ على النُّوقِ، أمَّا إطلاقُه على النِّساءِ في مثلِ هذه الحالِ فلم يردْ عنِ العربِ.

وقد اعترضَ على هذا الاحتمال التفسيريِّ أبو بكر محمد بن القاسم بنُ الأنباريِّ (ت:٣٢٨)، فقال: " وهذا القولُ عندي بعيدٌ؛ لأنَّ المعنى الثاني لم يُستعملْ في النَّاسِ ، والمفسرونَ يقولونَ: هِجْرَانُهُنَّ: تركُ مضاجعتهنَّ".

ولا يُتركُ المعنى المشهورُ والمتبادرُ للَّفظةِ إلى معنىً غامضٍ غريبٍ إلاَّ بدليلٍ يدلُّ عليه، ولا يوجدُ هاهنا إلاَّ الاحتمالُ واستعمالُ اللُّغةِ، وليس ذلك كافياً في تركِ المشهورِ، إذ لو أُورِدتْ على الآيةِ كلَّ المحتملاتِ لاتَّسَعَ التَّفسير، ودخلَه كثيرٌ منَ الأقوالِ المرذولةِ .[٤]

المسألة الثالثة: في الاعتمادِ على اللُّغةِ

١ –

٢ –

٣ –

٤ –

برز من خلال الأمثلةِ السابق ذكرها عنِ السَّلفِ واللُّغويِّينَ أنَّ اللُّغةَ العربيَّةَ مصدرٌ أصيلٌ، وأنَّه لا بدَّ من الاعتمادِ عليها، شعراً كانَتْ أم نثراً.

ويظهرُ أنَّ اللُّغة من أوسعِ المصادرِ التي كان يعتمدُ عليها الفريقانِ، وذلك ظاهرٌ بتتبُّع تفاسيرِهم.

ولقد كان في عملِ مُفَسِّري السَّلفِ من الصَّحابةِ والتَّابعينَ وأتباعِهم بالأخذِ بلغةِ العربِ في التَّفسيرِ = إجماعٌ فِعْلِيٌّ منهم ، وهذا العملُ حُجَّةٌ في[1] صحَّةِ الاستدلالِ للتَّفسيرِ بشيءٍ من كلامِ العربِ: نثرِه وشعرِه.

وإنْ لمْ يُقَلْ بالأخذِ بلغةِ العربِ في التَّفسيرِ، فكيفَ سَيُفَسَّرُ القرآنُ دونَ الرجوعِ إليها؟!

وقدْ نَصَّ أبو عبيدٍ القاسمُ بنُ سلامٍ (ت:٢٢٤) على الاحتجاجِ بلغةِ العربِ في التَّفسيرِ عند تعليقِه على أثرِ أبي وائلٍ شقيقِ بن سَلَمَةَ في تفسيرِه دلوك الشَّمسِ، قال أبو وائل: "دُلُوكُهَا: غُرُوبُهَا. قال: وهو في كلام العرب: دلكت براح"[3].

المسألة الرابعة: في الشَّاهِد الشِّعريّ

كانتْ ظاهرةُ الاستشهادِ بالشِّعرِ بارزةً عند مفسِّري السَّلفِ ، وهي عند اللُّغويِّين أكثرُ، وقدْ كانتْ كتبُ غريبِ القرآنِ من أكثرِ كتبِ اللُّغويِّينَ إيراداً للشَّواهد اللُّغويَّةِ ؛ كمجازِ القرآنِ، لأبي عُبيدةَ (ت:٢١٠)، وغريبِ القرآنِ، لأبي عبدِ الرَّحمنِ عبدِ اللهِ بنِ يحيى اليزيديِّ (ت:٢٣٧) الذي قال عنه القفطي (ت:٦٢٤): "وصنَّف كتاباً في غريب القرآن حسناً في بابه، ورأيته في ستة مجلدات، يستشهد على كلِّ كلمة من القرآن بأبيات من الشعر، ملكته بخطِّهِ ..." [6].

المسألة الخامسة: في علمِ الوجوهِ والنَّظائرِ

ظهرتْ كتبُ الوجوهِ والنَّظائرِ في القرنِ الثاني الذي بدأ فيه تدوينُ كتبِ اللُّغةِ التي تناولت مدلول ألفاظِ العربِ، وكان بروزها على يد مفسِّري أتباعِ التَّابعين من السَّلفِ: مقاتلِ بن سليمانَ (ت:١٥٠)، والحسينِ بنِ واقدٍ (ت:١٥٩)، وهارونَ الأعورَ (ت:١٧٠)، ويحيى بنِ سلامٍ (ت:٢٠٠)، وكانوا بهذا قد سبقوا اللُّغويِّين الذين لم يظهرْ

[1] –
[2] –
[3] –
[4] –
[5] –
[6] –

علمُ الوجوهِ والنَّظائرِ في كتابتهم إلاَّ عند ابنِ قتيبةَ (ت:٢٧٦) في كتابه تأويلِ مشكلِ القرآنِ، تحت عنوان: (اللفظ الواحد للمعاني المختلفة).

ثُمَّ ظهرَ عند المبردِّ (ت:٢٨٥) في كتابِه: ما اتفقَ لفظُه واختلفَ معناه في القرآنِ المجيدِ، وهو مع صِغَرِ حجمِه لم يكنْ خالصاً لهذا الموضوعِ، بل شملَ موضوعاتٍ أخرى.

ثُمَّ برزَ في أمثلةٍ كثيرةٍ عندَ ابنِ عُزَيزٍ السِّجستانيِّ (ت:٣٣٠)، ثمَّ كتب فيه ابنُ فارسٍ (ت:٣٩٥) كتاباً أسمَاه: الأفراد) .[١]

وكانَ من الممكنِ أن يستفيدَ اللُّغويونَ من كتب الوجوهِ والنَّظائرِ في معرفةِ مدلولِ الألفاظِ العربيَّةِ التي وردتْ في القرآنِ كما استفادوا من كتب غريبِ القرآنِ والحديثِ ومعاني القرآنِ، غيرَ أنَّ هذا لم يقعْ في كتبِ المعاجمِ اللغويةِ، حيث لم تتمَّ الاستفادةُ مما كتبه أتباع التَّابعين في هذا العلم .[٢]

المسألة السادسة: التَّفسيرُ اللُّغويُّ بين البصرةِ والكوفةِ

إذا تأمَّلتَ المؤلفاتِ التي كَتَبَهَا اللُّغويُّون في البحثِ اللُّغويِّ والقرآنيِّ، وجدتَ أنها ظهرتْ في البصرةِ والكوفةِ ، وهاتان القريتانِ كانتا منشأ البحثِ النَّحويِّ الذي كان قد سبق البحثَ اللُّغويَّ.

وإذا قرأتَ في تراجمِ علماءِ العربيَّةِ في هاتين المدينتين، وجدتَ بينهم منافسةً علميةً في البحثِ والكتابةِ، ووجدتَ أنَّ علماءَ البصرةِ كانوا السَّابقينَ في التَّأليفِ النَّحويِّ بكتابِ سيبويه (ت:١٨٠) ، وفي التَّأليفِ اللُّغويِّ[٤] بكتابِ النَّوادرِ، لأبي عمرِو بنِ العلاءِ (ت:١٤٥)، وفي البحثِ اللُّغويِّ القرآنيِّ بكتابِ مجازِ القرآنِ، لأبي عبيدةَ (ت:٢١٠) .[٥]

وقدْ كانَ لعلماءِ هاتين المدينتين منهجُهم في البحثِ النَّحويِّ، ولا يبعدُ[٦] أنْ يكونَ له أثرٌ في البَّحث اللُّغويِّ، خاصةً أنَّ كثيراً منْ علمائهما نحويٌّ لغويٌّ في آنٍ واحدٍ.

---

١ –

٢ –

٣ –

٤ –

٥ –

٦ –

وهذا الاختلافُ بينهم قد يفسرُ نَقْدَ الفرَّاءِ الكوفيِّ (ت:٢٠٧) لأبي عبيدةَ البصريِّ (ت:٢١٠)، حيثُ قالَ: " لو حُمِلَ إليَّ أبو عبيدةَ، لضربتُه عشرين في كتابِ المجازِ " ، ويظهرُ أنَّ هذا القولَ[١] إنما خرجَ بسببِ المنافسةِ التي كانت بين الفريقين، وهذا النَّقد مجملٌ، ولم يتبينْ فيه سببِ نقدِ الفرَّاءِ (ت:٢٠٧) لكتابِ مجازِ القرآنِ، وهو لما ألَّفَ كتابه في معاني القرآنِ كانَ فيه أكثرَ بُعْداً عن التَّفسيرِ من أبي عبيدةَ (ت:٢١٠) .[٢]

١ –

٢ –